عبد الرؤوف خليفة عسكر كاتب ومؤلف وروائي وباحث في علوم الفيزياء والتكنولوجيا و له عدة، وبحوث علمية وغير ذلك من قصائد وأشعار، حفظ القرآن الكريم في منارة الشيخ عبد السلام الأسمر ودرس علومه ، تتلمذ على عدة مشائخ ومنهم علي أحمد اشميلة ، صالح بن نجي، مجاز من شيخه د. أحمد محمد جاد الله بالسند المتصل لمتن الجزرية كاملا، وحاصل على عدة شهادات تقدير، وفاز بالعديد من المسابقات بامتياز وتفوق، طالب في جامعة طرابلس/ قسم الفيزياء.

للتواصل مع المؤلف

Gmail: abdarrauofasker@gmail.com

Whatsapp:+218-13947401

بِـــــــسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَــنِ الرَّحِيمِ

الْــمُعْتَمِر

بنكهة سُورَةِ العَصْر

روايـــــــــة

الكاتب: عبدالرؤوف خليفة عسكـــر

إِهْـــدَاء

إلى ربّي الله الواحد الأحد، قبل أيّ أحد...
ثم أشكر أمي الحبيبة، يا أغلى ما في دنيائي...
وأشكر أبتي...
ومعلميّ الكرام...
وأهدي لأصدقائي الأحبّة...

الدِّيــن:

هو حقيقة الألوهية فــي الرّوح....

الحـــبّ:

هو حقيقة الإنسانية في القلب....

*** مصطفى صــادق الرافعي***

فصل

{1}

بِـــــبَكَّةَ

...عِـــمْرَان...

في كبد هـذا الحشد من الرجـال والنساء والولدان، تحت شمس العشية التي تسطع ائتلاقها في أثوابنا بأباريق مذّهبة، وهي تكاد أن تفِـل، وأنا أعتنك هذا عن يميني وهذا عن شمـــالي، وتراني شيخا مستضعفاً ، لا يقدر علـــى شيء ممـــا أُوتي، وتارة يرتطم بيَ رجـــل خِطئـــأ، وتراني أُجاهد على أن لا أرتـطم بأي امرأة، إنّــه لجمع عجب، زحام من النـــاس لم أر مثله من قبل هـــذا، إنّ له هيبة تخترق الروح، ما إن تلمحه الأعين فتقع في القلب واجفة، وعُــمران هندسته الإسلامية التي تلهمك التقوى والخشــوع والتضــرع لِلَّه عزّ وجـلّ وأعمدة بُــنيانه كذألك، مزخرف بسيمات تبثّ السعة والدّعة إلــى النفس، ولـــكن لّه من المهابة والتخشاع كثيراً، كـــظظ على كـــظظ، وأدبَّ مـــع هـؤلاء القوم حيث يدبُّون، وأصير حيث يصيرون قرير العـــين، ثم يخيَّل إلــيَّ أني أرى قول اللَّه سبحانه:يـــأيها الذين ءامنواْ اتَّقـــواْ ربَّـــكمُ الَّذي خلقكم ...،وامتزجت مشاعري بين هذه الأية وبين: اللَّه نور الســـموات والأرض...، كان شعوراً ذاهلاً، إذ يمتزجان في صدرك خوف الله الذي يجعلك تكـــاد تخرُّ على الأرض من الهيبة وبين حبِّه الي يجعلك تذوب في طيَّات عشقه سبحانه ، فيرجف قلبي وترجف على إثرها جلودي حـــتَّى تضطرب كل شعرة نمت عليه، وتقشعـرُّ من أوَّلـــك حتى ءاخر طرفك، والمكان كلُّه يضجُّ بأصوات أنـــاسيِّ يدعون ربّـــهم ويهلّلون، ويعلواْ الجلال والقنوت جباههم، رهب ثم رهب ثم رهب، وصرت أُلملم شتاتي وأنــفاسي التي بعثرتها رهبة الحرم وحرمته، واستنشقت لوهلة سكوناً ووقاراً، فقلت أحدّث نفســي: أجئت إلى هنـــا بعزمي أم ســـاقني أحدهم هنا من حيث لا أدري؟!، من شدة الزحام والرهاب الذي يخوِّف الشيخ عمران، ووقعت بالقلب زلزلة أخرى، مـــا إن يعِ أنه بين حشد يضطرب ويزلزل، وهـــا قد

صرت أرتعش وأقشعرُّ كـسيرتي الأولى، خطُر لي أن أرجع حيث جئت، حيث الخلوّ وليس هنالك الناس إلاّ قليلا، فأقول في نفسي: كـــلاّ..، فتعلوا بـــي تلك الرهبة ويضيق صدري ولا ينطلق لساني، فـــأشعر أني لو أبكي وأنكسر يكُ هذا خير لّي، ولـــكن بمزيج من عزم وإقدام، ثـــم أفتح بصري بتبصُّر فأرى تعداد النــــاس كل حين يزدادون، وهم ينسلون من كل فـــجّ عميق، وأنا منبهر!!من هــذا، أحملق فيهم، مشخَّص في مكاني لا أحرك ساكناً، أنْ كأنه أصـــابني ما أصابني، بغتة!! ارتطم بي رجل ذو بـــأس شديد كاد أن يبطحني أرضاً، وعلى إثره وبقوّة ارتـــطم بي ءاخر عن يميني، فتلفَّتُّ إليه بنظرة أقصد منها أن يعتذر، ولكنه...:بخٍ عليك أيها الشيخ العاجز، أتريده أن يعتذر؟!، ما أنــت؟،قالت نفسي: تلومني تعوّدِ نفسها لعلها تصبح النــفس اللوامة، ورأيته بعد فهو لم يختفي من ناظريّ، ولكنه انطلق متوارياً بين هؤلآء النـــاس كلهم، ومضى إلى شغل يشغله، كأنه يجتهد في بُغية مــا،ثم تلفّتّ إلى الناس فأراهم كل يعمل على شاكلته، فحدّثت نفسي أسائلها: لِــمَ كأني الوحيد هنا ليس على سجيتي؟!

ـ فأجابتني: !!هيه!!، بنبرة توبيخ، إنك هنا لتطهِّـر خطاياك وتنقِّ سجاياك، فـاجمع نفسك ثم صِر إلى مولاك، فتذكَّرت من كلامها، وفي كل ذالك الزحام بالناس رجالهم ونساءهم، ورهبة الحرم وهيبة العدد والحـاضرين واضطراب نبض قلبي وضِيقَ صــدري واختلاج أنفاسي في حنجرتي، والرعدة التي بي، أجمعت رباطة جأشي وإصــراري وتوكلـت على اللّه ربي، وأنا أخالل بين الخلائف أبتغي كـــسوتها وأجبر نفسي أن لا أرتطم بـــأيِّ خليفة؛ لأنه من المكاره في العمرة، وبلُــبِّ هذا الحشد قد أظلُّ منتظراً لثوان معدودات لا أحرك فيها ساكنــاً، لإن الجمع قد وقفوا، فأرى أقدام الناس من قدّامــي على الأرض، وما إن يخطوا الذي أمامي أخطوا أنا على إثر قفاه، وانتظر لحظات ليسير الجمع ولـكنها تمّر كالسنون، وبغتة!!، لمحت فوجــاً عظـيماً من رجال أشداء طِوال ضخام، يقبضون مرافقهم قبضـاً مع بعضهم البعض، كأنهم بنيان مرصوص، مع أريج الحرم الذي يفوح في شتّى حنايا الجوّ، برائـــحة بخور العود

وروائح أخرى جليلة، التي تضفي إلى القلب إخلاصاً وتقوى لله عز وجـل ورهبة منه كذألك، تقدمواْ إلـيَّ هؤلآء القوم، بعدمـا كدتّ أن أقبض قبضتي على كسوتها السوداء، حين صِرت أراها نصب عينـيّ مباشرة وما بيني وبينها إلاّ قليل، بضع أذرع وخطوات، لكن الانام تسـدُّ ما بيننا وتحيل، فقمت مجاهداً أُواطئ اليها بعزمٍ وأنفذ بين الناس بحذر، في ذي اللحظة نسيت نفسي، نسيت من أكون، وحاولت ها يمينا وها شمالا لكن...،كـلاّ، فلقد أتوِ اءلان رجال كجحفل الروم، وهم يتمسّـكون ببعضهم، بعضهم من بعض، وينطلقون أمامهم كمشئمة لا تبقي ولا تذر، وها أنا ذا!، قدامهم وهم قدّامي، خطوت لورائي كي أفسح لهم يعدواْ إلى ما يشاءون، ثم أُكمل أنا من بعدهم، لكن!!بغتة!!، علقت يدي بـأيديهم، شمالي بيد أحدهم، وهم يسيرون لا يشعرهم شيء، وصـارواْ يسحبونني معهم كفلك تجرّ مرساتها كيْ تبحر، وأنَّـى لهم أن يدرواْ بي؟!، شيخ عجوز هرم قزم، اشتعل به الشيب، وخـطَّط تَجاعيد وجهه كتمثال، ضعيف ليس له حول ولا قوة، أصرخ عليهم!!، لكن لا حياة لهؤلآء، وصارو يسحبونني بعيداً عن مرادي، تالله إنه كالموج ويجذبك خذروفه لغيابات البحر مغرقا، يـا ويلتى!!، إلهي لقد كدتُّ أصل إليها، ...لقد شعرت بالسّخط، لم أبلغ إلى حيث كنت هاهنالك إلاَ بشقّ الأنفس، وبجِبِلَّةٍ فيها من السوءات ما فيها،فما إن بقي بيننا بضعة أذرع فقط، إذ بي يُوخذ بي بعيداً، وأنـا معلّق في قبضة أُولآء، كطفل رضيع، أمسكت بالكفّ التي علقت بها وهم يجرّونني من عندهم ولا شـأن لهم في ما أنا؟!، قبضتّ قبضتي...حتَّى وإن كنت شيخا عاجزاً، لكن يوماً ما كنت من معتنقي كمال الاجسام، قبضتُّ قبضتي ووكزتها في ساعد الذي قبض بشمالي، حتّى أفجعته وكزتي وأطلق تنهيدة سمعتها وأفلتني...أُفٍّ لـكم... علـيَّ اءلان أن أرجع من الصفر بعدما كدت أكون إليها، وأن أراوغ تـارة أخرى حين حيل بيننا بعشرون ذراع أو أكـثر...لا حـول ولا قـوّة إلاّ بـالله...

برج الســـاعة { فيرمونت} 4:35 عصراً

...نِكَــــــاتٌ...

بمطبخ بين كـلّ هــؤلآء الطّهاة، تفوح شذا البهارات و التوابل والاكلات جوّ المطبخ، وبأضــواء تضوينا تحت هذا السقف، وبملامح عربيّــة ولكنات العرب، أعمل هاهنا من بينهم كنادلة، أغسل الصحون وأستقبل المعتمرين في هذا المطعم وأرحّب بهم، وأرقب المكان والصحون من حيث لايدرون، لعليَ أجد فيها ما أجد، إنه لجهاد في سبيل الله...، غادرت لتوّي المطبخ الذي فيه الكـــدُّ والعمل كثيراً، بين تلك الأكلات واللحوم والأطعمة والروائح، والضَّجيج الذي لا يطاق،إذ تعلوْ صيحـات الطهاة فيه صيحة تلو صيحة، وبأصواتهم البالغة الخشنة المزلزلة، وكلهم يعملون بجدّ، في المطبخ كفاح على كفاح، والكلّ يعمل هنا بقلبه وحبّه وسعة، وبتلك الشّيَم الفصيحة والكلمات العربية وخاصّة اللّكنة السعوديّة،ترى العاملين تحسبهم يتعبون أو يملون، بل زادهم إصراراً، كلهم يعملون بنفس مرضية، وتراهم بين مهرول ومنتظر، وبين غدوٍّ و رواح وصمدٍ واشتغال، كلٌّ تراه فتلمح فيه سيمة تقول: ابتغاء وجه ربي الأعلى، تعرف في وجوههم نضرة الإسلام، لا يعملون إلاّ لواحد قهّـــار، يبتغونه ولا يشركون به أحدا...،ولــمّا وطِئت المطعم إذ تركت المطبخ وبابه ينغلق من ورائي، مطعم فسيح بأنوار برتقالية وثريّاتها، وأثاثها قيـِّم، أضوائه تبـثّ في الروح السكون والهدوء، كما الشموع وكله مصــفّف بالطاولات الزّجاجية الباهظة وأخريات من خشب بنية لونها تسرّ النــاظرين، وبثريات مذهّبات ينحدرن معلّقات من أعلى السقف، زين على زين، ثم ســألتني امرأة على حين غـرّة: هل أنتِ سعودية؟...تنبّهت لها،ثم انصرفت عنها كأني لم أسمعها، وسرت تلقاء الكراسي أُخالل الطاولات... سمرآء يشامة بنية قاتمة في جبينها، ما إن تراني تعرف أني لست عربية، لِـمَ تسألني؟! لا أدري؟! أدبرت عنها وقلت في نفسي: أنـــا أعمل هنا بحيطة كي أدافع عن الدين ونصرة لله وحده، بالطبع لن أفشي لها ما أنا؟، ليس لشيء، بل لغاية لا يعلمها سوى الذي فطر السمـوات والارض، كـــيْ...

...مَـــــــارِيّة...

ولمّـا وصلنا إلى الفندق العظيم، توجهنا أنا وريمز إليه ودخلنا، وما إن دخلنا تحت سقفه حتى وافانا أحد الندل عنـد بابه، ببدلة أنيقة وراقية، أقبـل إلينا بِبِشر وبهجة، يُلـمح لنا أنه سيأخذ بنا وحقائبنا إلـى الغرفة التي حجزها ريمز، لكن سرعان ما نهره ريمز بأسلوبه الفـظّ حين يرفض شيئـاً، فذهب عنـّا مدبراَ ذاك الندل، ثم وافانا ءاخر من بعده، ضخم عريض طويل بوجه عربي، التقط من الأرض حقائبنا، وأنا منبهرة؟! إذ تلفّتّ إلى ريمز فأراه يتبع هذا النادل ولا ينطق ببنت شفة، منذ قليل زجرت أحدهم، وءلان تتبع هذا؟! إنّ هذا لشيء عُجاب!! فما كان منّـي إلاّ أن أعمل كمـا يعمل ولا أهمس ببنت شفة أنا أيضاً، فيسيرون وأسير من خلفهم، يتجه بنا هـذا النادل منطلقاً إلى الطابق السادس والستون، وأنا أرقب بحذر، تحت هذا الجلباب الأسود الفضفاض، أتشبّه بالأعرابيات، وأنا أذمَ وأسبّ سرّاً في نفسي تحت هذا الخمار الذي يكدّر القلب ويُظلم على بصري، :أنّـى لهنّ أن يعشن تحت هذا الجلباب؟! كأني تحت خيمة منعزلة، كيف لهنّ أن يمشين على الأرض هكذا كـالمشرمدات لا يغوين الرجال إليهنّ، يجب على المرأة أن تمشي على الأرض بحلّة تغوي فيها الرجل، كأن تسير وتجعل صدرها مكشوفاً مثلاً أو ترتدي تنورة قصيرة تبرز بها جمال سيقانها، ويبدين نعومة جلودهنّ، لا أعلم كيف يستطعن أن يعشن هكذا، مع أن الأعرابيات هُنّ أشدّ جمالا وأقوم بهاءً، وهـذا أمر معلوم، فعندنا أن يضاجع الرجل أعرابية خيرٌ عنده وأشهى من الأعجمية، لكنهنّ رغم جمالهنّ والإفتتان يرتدين جلابيب فضفاضة ويضربن بخُمُرهنّ على وجوههنّ ولا يضربن بأرجلهنّ ليُعلم ما يُخفين من زينتهنّ، إنّ هذا لشيء عُجـاب... ما يهمّ، ألمح ريمز بمظهره البشع والمنافق حيـن حلّق رأسه كله فصار أصلعاً، وأخضب لحيته بالحناء كما يفعلون، أقول أغازل ريمز بيني وبين نفسي: ريمز رجل الأناقة وسيّد الوسامة، بعينيه الخضراوتين، وبشرته البيضاء النظيفة، الأشقر الذي أشغف له وتتوقّد شهوتي حين أراه،:لقد جعلتك هذه المهمة يا عشيقي بشعاً، ألمحه فأراه يرمق أرقام الغرفة، إذ توجد لوحة مرقّمة فوق كل باب، ونسير بضيافة هذا النادل العربي المفطحل، نسير في هذا الممرّ العريض الفسيح، وأبواب كثيرة عن أيماننا وشمائلنا، بعدما صعدنا من المصعد، نسير متنكّرين، وبالنسبة لي فهذه أروع حيلة أتنكّر فيها، افعلي ما تشائين فأنت مستورة بالكامل، كـنّا نبدوا كالمسلمين حقّا، وريمز يرتدي كما يرتدون، قماشتين فقط.. تخيّـل!! إي تالله، قماشتين بلون أبيض، أولاها يلفّها حول خصره ليستر عوتيه المغلّظتين وهي تتدلّى أسفل

ركبتيه، والأخرى يرميها على كتفيه؟! تخيل... هذا عندهم شعائر دينية؟! كـلّا، إنه لمجمع أراه لتهييج الشهوة، كنا نبدوا كالمشردين الذين لا مال لهم، لا أعلم أشعر بالإشمئزاز، ثم وقفنا قدّام باب رقم لوحته 1386، ناول النادل لريمز مفتاحاً، ففتح الباب، ثم أعطاه الأخر الحقيبتين، كان في الحقب الأول ملابس ريمز، الحقيبة الثانية فيها ملابسي، بينما الثالثة التـي تحتوي على الآلات والأجهزة السريـة أحملها أنا، ثم شكر ريمز النادل وودّعه بابتسامة مزيفة، بأسنانه المصفرّة، وعينيه اللّتان تضجّان بالشّـر، وظهره الذي يوحي بالمكر والخبث، ثم انصرف النادل... ففسح لي ريمز على أن أدخل قبله، فدخلت ثم دخل هو من بعدي، وتصوّت الباب قائلاً: لقد أغلقتني ريمز، وأنا قبالته وهو من وراءي، حتى لمحت قماشة تُرمى على السرير، فحملقت فيها!! قالت نفسي بتعجب وفزع: هيه!! هل هي القماشة التي يستر بها ريمز...!! لم أُرد أن أتلفّت إليه، فعلّه يخلع ما ارتدى ويرتدي ملابس أخرى، وأنا أنتظر بوجل لا أحرك ساكنة، حتى جاء قبالتي ويردف يقول: هيّـا جهزي الشفرة... أُفٍّ لقد ظننته يتعرى، فخابت كل ظنوني وتهاويسي

...عِـمْران...

ولما ساقني القدر وأجرفني بُعيْد الكعبة إذ تعلّقت بفوج هرع ردّوني حيث كنت، لمحت حولي وإذ بي أرى أنـي وإياها مبعدون عن ما كنا عليه في السيرة الأولى، وأنا في جوف الحشد تدفعني أكتاف القوم بينهم وهم يطَّوَّفون بالبيت العتيق، ثم سرت وقد شرع الرهب والروع في اعتلائي، وصرت في حالة لا يعلمها ألاّ الله، ورؤوس النـاس تلمحها تدور وتطوف بين دفّـتيك وجنبيك، رؤوس صلعاء ووجوه تلفّ على شعرها بالعمائم، بين كل ذالك الرهب والرعدة والتّـخبّط، وهذا الإكتظاظ، وهذا التجمع المهول من الناس، والجلال والهيبة والوقار، كأنهم يمطرون عليّ من كل مكان، ألمح الجـوّ أُقلب وجهي في السما أنظر ربّي وأرتقبه، فإن الذي

خلقني فهو يهدين، اللّهمّ خـاطبني، أسمعني صوتك، كلّمني، حدّثني، وبغتة!!

...صـمـت...

...سكون...

...

...لا صوت، أرى ولا أسمع...

...صمت...

...ســكــون...

سمعت أحاديثاً ولكني لم أفقههَّا، إنه حديث لكنه بلا صوت، بلا كلمات، بلا إيحاءات، !!عجبا!! كأنه حوار أو جدل بين إنسيٍّ أو... لم أفقههُّ، كأن بيننا قوم ءاخرون لا نسمعهم ولا نراهم، أو لعلهم يُسمعون وأنا الذي لم أفقه هّذا، أو رُبَّ كل هذا مجرد وساوس وهواجس، أو أنه خُــيِّل إليَّ أني أسمع أباطيلاً

...صـــمت...

...إنعزال...

...سكون...

وبتخّفّت همس في مسمعي... كعود يدندن على مقام البيات يقول:

يـــأيتهـــــا الروح تعـــالي...

دو. ري نصف بيمول. فـا. صو. لا بيمول. سي بيمول. دو... يبــثُّ شوقا وصبابة: إنـــي عن الصبر لجـــــزوع...

!!بهتُّ لوهلتي فقد أيقنت أني سمعته حقّا...

...أحاديث غير مفهومة...

...الله أكبر...

...كلام غير مفهوم...

...تكبيرات...

لقد، أكــاد ءالف، المكان

ثم عدتّ إلى وعيي وصرت أرجع إلى سيرتي الأولى بأمّ القرى في نوى هذه الزحمة، والناس يطوفون ويهلّلون، ما هذا يا رب، هل أهلوس بتخاريف في عقلي، فمنذ حين كنت أسمع أقاويلا وحوارات وأسمع دندن العـود يُرنّم، التفتّ قُبُل الشمس حتى يظنني من يراني أني من قوم سبإ أعبد الشمس، وصرت أنادي بما أوتيت من قوة أدعوا وكـفّي تلقاء السما أقول: ربي يا رفيع الشأن، وجئت لأدعوه بحاجة في نفسي جاهراً، لكن استحييت، استحييت أن يسمع أحدهم دعوتي عند الله، فإن دعوتي غريبة... ما يهمّ أن تكون هاهنا... ستلحظ أنك صرت خفيفاً لّيناً كأنك كنت تحمل على ظهرك جبالاً، بلى، ستتركك الهموم، وستنسى كل شيء، سينساك كل شيء، رغم كل الناس الذين تخلّلهم بين جنبيك، لكنك في خلوة، وانت ومالك الملك فقط... واءلان بعدما لملمت شتـاتي وحضرت في واقعي، نويت أن أغدوا إلى الكعبة، وأعزم إليها مجدّداً، وصرت أحذواْ وأحذواْ وأحذواْ، وعن يميني رجال ونساء وعن شمالي شيوخ مثلي، وأصير من بينهم تارة مهرولا وتارة أدبّ دبّاً ثقيلاً، وأخطواْ وأخطواْ وأخطواْ، ثم ألمح فلم يبق بيني وبينها إلا وثبة كـي أمسك بها من فوقهم، وهم يكادون يتصارعون عليها صرعا، وأنا من فيهم أقاوم هـؤلآء المكتظّون، شيخ يبلغ من عمره الثمانية والستون، كان يستصعب عليّ أن أجـئ الى قعر هذه الزحمة العظيمة، وأن أتوسّط بين كل هؤلآء البشر، أو أبلغ هذا الموضع الذي أناْ فيه، لكنها ها هيَ قبالتي تماماً، ذراع فحسب، ليس بيننا إلاّ معتمرين حالواْ حالنا، أيقنت أني لو أن سأنتظرهم ما يفسحون لي، إذ كانواْ كقوم ظمئـانين يكاد يصل بهم الظمؤ الى الموت وأنهم ها قد وجدواْ بئرا ليشربواْ منها، فخطـر لي أن انسلَّ من تحت أقدامهم، فمحال أن أصلها بهذا الحال، فوطئت بين أقدامهم ثم خررت على قدميَّ، ومطّيت إليها ذراعي... وما بقيَ بيني وبينها إلاّ بضعة أظفار كيْ... أكمشها...
ثم فردتُّ أصابعي إليها، وصرت أمدّها مدّاً مدّاً...
وأخيراً...هــا قد قبضْـتُّ على كسوتها السوداء، وصرت أتحسّس كتّانتها الناعمة بين أصابعي،

==

...مَـــــــارِيّة...

رميت الخمار على السرير ثم جلست بجنبه، على طلّة تطلّ من أعلى البرج من حائط الغرفة الزّجاجيّ إلى أسفل مدينتهم، قعدت وكمشت قدميّ إلى حجري ثــم جذبت الحقيبة جنبي، وضعتها أمامي، ففتحتها، ثم أخرجت الشفرة السوداء الصّــغيرة، فجئت للألتفت إلى ريمز وأخبره: أن!!!...

ولكن أغضضتّ بصري بسرعة والتفتّ عن شمالي كــيْ لا أراه، كان يخلع ملابسه!!! : لِـمَ لا ينزع ملابسه في الخلاء ويبدّلها هناك، ها إن الخلاء وراءه؟! قالت نفسي، لقد أشحت ببصري فوراً، وأنــا ملتفتة حيث الحائط الزجاجي، عكس ريمز، أنتظره متى يرتدي ما يرتدي، وانتابني فزع لتوّي، فأخبرته وهو من دبري: أخرجتها ماذا بعد؟ وتراني أرتجف وأرتعد من وقاحة هذا الرجل، وصارت تضطرب نبضات قلبي، وصوتي مقطّع الأنفاس،

ـ أخرجي الحاسوب، أردف إليّ قائلاً بصوته الخشن الغليظ البذيء الذي يجعله يبدوا كـالسّكارى، أخرجت الحاسوب كما أمــر، ثم أتى بجنبي وقعد معي، يبدوا أنه انتهى من ارتداء زيــِه وارتدى ما ارتدى، التقطتَ الحاسوب من حجري إلى حجره، وشغّلــه، ثــم أردف قائلاً يأمرني: بدّلــي ملابسك أنت أيضاً، بنبرة كلها احتقار، وأنفاسه وأسلوبه اللذان يدلّان على رذالة طبعه، قلت في نفسي: هــل أنا التي يخاطبها بهذا الأسلوب؟! لِمَ يحتقرني هكذا؟! من يظنّ نفسه؟! أم هو ذو طبع فاحش وبذيء، ـ أجبته: حسنٌ...

ولما فرغت من ارتداء ملابسي وارتديت ما ارتديت، من فوقي جلباب ءاخر لكنه بلون أزرق مكحّل، وقفت أمامه بوقفة أفتتنه، لا أعلم لم فمنذ قليل كان يتعرّى!! لكنها العوائد يا نعمان، أضع يدي على خصري،

وأتمايل يمينا وشمالاً، كنت تعودتّ مع زملائي الاخرين ما إن أتمايل لهم مثل ما أفعل اعلان يفترسونني بالحرّ، لكن ريمز كــأنه صمٌّ بكم عمى، أو لعله هذا الجلباب الفضفاض الذي لا يبدي تفاصيل جسدي ولا قوامة سيقاني، وظللت كذألك حتّى رمقني بنظرة ميّتة وبــرّم شفتيه وقال فأثار إحباطي وفتفت مشاعري وتشنجت شهوتي بي فجأة: اسمعي!! بصوت كالفحيح

ـ نعم، أجبته بهلع وبهتة...

ـ حين تذهبين إلى المطعم سترينه يحمل ثلاثة أطباقٍ بيد، والأخرى بيدٍ واحدة، بنبرة كــأنه ثعبان

ـ أردفت له: أهــــا؟، منتظرة تفاصيل أكثر...

ـ وبصوته الوخم وثقل لسانه وبذاءة طبعه قال: رقم الطــّاولة 48

ـ قلت أسأله والشفرة؟ ماذا عنها... نــظر إليّ بنظرة محقّرة وقال: انتهى شغلك، وابتسم ابتسامة مقزّزة، خبيثة و وسخاء، وبعد ثوان... قلت له أسأله بروحيَ الفكهة وطبعيَ البشوش الخفيف، متجاهلة كل تلك النظرات المستفزة وكل ذاك العلوّ والعتوّ، ومتجاهلة كل ذاك الفحش والجشع، لأن معاشرة هؤلاء بالمثل عذاب، فتلطّف الأجواء أنت ولكن لا لُطف مع هؤلاء، إنهم قوم نكديّيون، قلت له أسأله رافعة حاجبيّ: ومــتى؟ متـــى سأبدؤ الخطــة... ومحملقة عينيّ كعادتي حين اذكر شيئاً تذكّرته بغتة، فأصبح كالمجنونة أصرخ للحظات، كأني أذكّر نفسي بــأني تذكرته... مــــا يُهمّ سألته ويبدواْ أني صخبتُ في كلماتي...

ـ ومتى تحديداً؟

رمقني بنظرة مخزية ثم قال بصوت هادئ ثابت غليظ مصحوب بأنفاس امرئ فحّــــاش ولا يبالي، : متى تشائين...

ـ مه!! وحملقت بصري تبرّمت شفتاي من تلقائهما،: أيستهزؤ بــــي؟ حدّثت نفسي

...نِكَـــاتْ...

إني أعمل هنا أترقّب الذين يأتون لتهريب الحقائق وتزويرها، إعلم علم اليقين أن كـل ما اختلف عليه المسلمون فيما بينهم هو واحد فلا تفريق، لكن المصيبة أنهم لا يعلمون كيــف شُتِّتواْ وفُـرّقواْ، إن الكفار الذين يعملون في تزوير الأحاديث النبوية وتحريف المؤلفات العلمية الإسلامية في شتّى العلوم، التاريخ، الفلسفة، التفاسير، والعقائد، وكثير من التصانيف... أنــت تعلم أنه ما تصارعا رجلين عن اختلاف أمر في الدين بينـهم، و أيّــاً كانت الدّيانة سببه...

ـ!!! هيا...هيا: فيم أنت لاهية!!! صرخ عليّ أحد العاملين موبّخاً، وبنبرة هلعت منـها!!

ـ قال ءاخر بأسلوب يقلّل من شدّة الذي صرخ عليّ يهدهدني: إنه وقت حضور المعتمرين...

ـ حسنٌ، حسنٌ، وصرت حيث يعملون، وأنا أحمل كؤوساً مقعّرة...

ـ حدثتني نفســي: تنبّهي لعملك ولا تنسيه، تذكرني...

ـ أجبتها: نعم، نـــعم... وأنا بين رائحة وقادمة، أُوزّع الإبتسامات على كل من ألقاه، ومن يلقاني لا يلتفت إليّ إلاّ وقد حدّق في شامتي التي على جبيني، وءاخذ الأطبـــاق اثنين اثنين في كل يد، وأنا أراقب الحاضرين من حيث لا يحتسب أحد، وصــــارواْ المعتمرين يدخلون من الأبواب زمراً، وكل حين يزدادون، رجل من وراءه رجل، وكثير من النساء المحجبات، وكهول استنفد منهم العمر...

: ترقّبي يا نكات...

ترقّبــــي...

...مَــارِيّة...

ولما انطلقت تلقاء المطعم إلى الطابق الأعلى، هــا قد وصلت فتحت بابه ثم وطئته، دخلت من الباب الأيمن طبعا، كانت هناك قاعدة في المخابرات تقول: يمينك ولا يمين العدوّ ولو قتلاً، دخلت فحملقت في المكـــان وسقفه... ياللروعة!!! كان مطعماً راقيا وفاخرا حقّـــاً، تملؤه أضواء ترقص أنوارها تبُثُّ في الروح الهدوء، حسن... هو مكان لئن يكون مكان لتقضية شهر العسل للأزواج خير من أن يكون مطعما في مسجد... كالعادة تأبى نفسي الإفصاح عن حسنات المسلمين، لكنه مكان وبقعة لجمالها فهي جميلة، إنها بقعة توحي إليّ أنها تخاطب روحــــي، وصرت أتأمل في روحي، لأوّل مرة أكون صادقة مع روحي... قـــاطعتني نفسي قائلة: التزمي بالخطة لو سمحت، بنبرة تنهيني في أن أتفكر في داخلي، وصارت تذكرني بريمز وملامحه كيف سيبدوا أن لم أنفّذ الخطة، كـــأنه في داخلي، :حسنٌ مارية أنت هنا لتنفيذ خطة سرية، قلت أحدث نفسي كي أفيق من سهوٍ أتاني بغتة!! كأن هناك شيئاً ما بداخلي يريد أن يتحدّث ولكني قتلته ودفنته في قلبي وغـطّيته بالتراب، دخلت أنا أسير وهيئة المطعم البنية البرتقالية وتصميمه يتجلل، ومن حولي أناسيّ كثيراً، أمشي مثلهنّ متنكرة داخل هذه الخيمة التافهة التي يقولون لها الجلباب، كـأني امرأة عربية، جلباب أزرق مكحّل فضفاض، وخمار أسود، امشي وأحذوا برزانة وبخطوات ثابتة قصيرة، وأقلّب مقلتيّ يمينا وشمالاً أفتّش عن طاولة تحمل رقم 84... حتى لمحتها من بين إحدى الطاولات وجمع عربيّ يحيلون بيني وبينها، ثم صرت أحذوا إليهـــا... وحين وصلت إليها جذبت الكرسيّ ثم جلست عليه، وتقدّمت إلى الأمام قليلاً كيْ تلائم خشبة الطاولة صدري، استغربت من كل هذا الرقيّ والفخامة، لقد رأيت أماكن كثيرة وكلها راقية وفخمة، لكن هذا..كأنه يتحدّث، كأن كراسيه وطاولاته وسقفه وأرضيته تتحدّث!! استغربت من العرب كيف صاروا متأدبين وراقيين، فلا تسمع هنا إلاّ همسا وتصوّت نعالهم، وقليل من الضّجيج الذي يصدر من تلك الغرفة، تبدوا أنها المطبخ، أسأل نفسي بإزدراء: هل كان العرب راقيين من قبل؟!!

ـ ربّما لأنـهم مسلمون...
ـ قُبِّحتِ.. اقلبي عنّـــي، قلت لـها بتغضّب، لما أجابتني إجابة غبياء، وضعت قدمي على الأخرى، ثم تذكرت أن المحجبات لا يفعلن هذا، فأنزلتها وصرت أقلد لغة جسدهنّ، !!ما حيّرني؟! لِمَ يوجد كرسيٌّ ءاخر قدامي؟! ألم يقل لهم ريمز أنها لنفر واحد؟! أم سيأتي هو يا ترى؟! لكنه قال لن يحضر؟! ... حسنٌ لا يهمّ... وصرت أنظر المكان بنكهته العربية، إنـها نكهة مميزة فعلاً...

...نكَـــــــــاتٌ...

!!! ... !!!
!عجبـــاًً!! ...
ما...ر...!!
...سكون...
لقد لمحت إحدى المحجبات...، وأنا أترقب بحذر، لقد علمت أنـهم سيختارونك لـهذه العملية، مارية!!
وهي تمشي من بين المعتمرين والمعتمرات، أرقبها من بعيد من حيث لا تشعر، لقد جلست على الطـاولة المحجوزة بلافتة عليـها رقم 84، لقد تنكّرتي باحتراف، حتى كدت أجزم أنـها هـــي، سأريك ما معنى ما تفعلين، لأجعلنك تندمين كندم فرعون حين غرق، ولأجعلنّك تشعرين بالذلّ كما إبليس حين طرد من الجنة مذموماً مدحوراً، قالت نفسي: لا تتعجّلي فتندمي، إنـه عليك أن تتّقِ وتصبري وتترقّبيها بحيطة، ثم أسير وأفرق الأطـباق على المناضد أنضدها، وألقى الحاضرون بوجه طلق، أذكّر نفسي أن أجعل تلك العميلة نصب عينيّ، وأحياناً أراها تتلفّتُ قبالتي فأصير بين الحاضرين أواري نفسي كـــيْ لا تتبيّن أني هنا، إنـها مصارَعة شرسة من وراء وعي النـاس ومن حيث لا يدري أحد، بين مسلمة وعدوّة مسلمة...

لا تقولي هذا لعلّها ستؤمن بالواحد الأحد يوما ما، هذه العميلة لا تحضر إلا لعظيم أمر، وهذا التنكر وهذا التواري، والتضحيات، وهذا الجهاد، ما هو إلاّ غيض من فيض من الملاحم والتصدي لتزويرهم وتحريفهم وسيّئَ أعمالهم، بيني وبينها حرب صمّـــاء...

...مَــارِية...

جلست أنتظر ولم يحدث شيء بعد...

...مرت دقيقتان...

لم يأت أحد، لا خـــطر ولا أمر مشكوك، حتى جاءت نفسي تحدثني تقول: يا للعار، عميلة تعمل ولا تعلم ما تعمل، أشعرتني بالخزي كلماتها، فقد صدقت، شعرت أني كلبة ريمز، عملت مع رجال و نساء كثر من قبل لكني لم أشعر بالذّلّ معهم أبداً، ليس كحالي اعلان مع ريمز، تخيّل أني هنا للقيام بعملية سريّة وخطرة ولا أعلم ما هي الأهداف أو عمّا هي؟... أتبعه فحسب، أتبعه اتباع العجزة العميان، أرمق المكان وأستمتع رغم ذالك ، إذ أرى الصدق في أعين الحاضرين حولي، أن ترى امرؤاً صادقاً مع نفسه، يعيش متقبّلاً كل عيوبه وعوراته، إنك لا تعلم كيف يكون النوم حين تقوم بعملية ما، لا تتمّ إلا بالقتل والسّفك أو أن تُهدّد بـــالنهب أو الموت، ولا يكون ختام يومكِ إلا بأن تبيتي باغية زانية، حين تنام وأنت لم تظلم ولم تسرق ولم تقتل ولم تأثم، هاتين نعمة ورحمة عظيمتين، أن تتقلب في فراشك، وأنت أنت، ولم تنافق ولم تصانع، أو أن تنتحل بألف شخصية وشخصية، أن تكون على سجيتك أمر جلل ونعمة رائعة، بلى لست مسلمة لكني كذألك عدا أنّ فكرة الله هذه وإله واحد لم أرض بها ولا أؤمن بها، لا أودّ الحديث عن هذا لأنه أمر يؤثر في، أريد أن أنهي هذه العملية اعلان...

...مرت عشر دقــائق أخرى...

ثم أرقب رجلا ضخما عظيما يرتدي ربطة عنق حمرا أعلى زيّه، إنه عربيَ، تعرف هذا من ماء جبينه، إن العرب لهم سيمة تخترق الروح حيــن تراهم، لذالك هم مميّزون ومهابون مهما أنكرت ذالك، التفتّ إليه وصرت أتمعّن فيه أكثر، إنه عريض المنكبين ضخم الصدر، مفتول العضلات، !!!هيه!!! كأنه نفس النادل الذي رأينــاه أول مرة، لا يهمّ، حــسنٌ، تحت هذه الأنوار والأجواء، وأنه كان وسيما قليلا، ذو شفاه ممتلئة، قلت في نفسي: لا بأس سأجرب جسداً عربيّاً وستكون أول تجربة، شعرت بالشبق تجاهه، وهاجت شهوتي لما رأيته، ليس وسيما لتلك الدرجة، لكنه... إنه الفراغ العاطفي يا نعمان إنه الجوع... حدّقت في يديه تحت هذا الخمار فكان كما وصفه ريمز تماماً، يحمل في يده الأولى طبقاً واحداً فقط، والآخر فيه ثلاثة أطباق، استويت في جلستي، وأبرزت صدري للأمام، لعلّيَ أفتنه، ثم تذكرت أنّي سجينة تحت هذا الجلباب الفضفاض، ومخمرة وجهي كله كالسارق حين يسرق، أنّى أفتنه وأنا كالمشردة، ثم وصل وأتى على جانبي الأيسر، ووضع الطبق الذي يحمله باليد الواحدة على الطاولة قبالتي، وأخذ الآخر ليضعه أيضاً، وهو منحني قرب أُذْني، وهمس فيها يقول: ...

...نِكَــــاتْ...

هــا أراها على مكث وعن كثب، لمحت للتوّ امرؤٌ أقبل إليها، هو من أحد الندل الذين يعملون هنا، فوضع على طاولتها طبقين ثم لمحته من بعيد يهمهم في أذنها بكلمات... لقد عرفت أنكم ...
ثم توجهت متختلة بيت الناس إلى المطبخ بعجل، التقطتُّ حقيبتي التي أضعها أعلى الرفّ من بين الرفوف، ثم توجهت إلى الخلاء لأبدّل ملابسي...

...مارِيـــــة...

تقرّب من أذني وقال بتخفّت: ستجدينه في إبريق الشاي، وضعي الشفرة في أيّ الأطبـــاق وخبّئيها، ثم أخذ اللّافتة التي تتوسط الطاولة، اللّافتة المرقومة بــ 84 وهو يستوي قائماً، وابتسم بملامحه العربية بخداع ثم ذهب، جلست أرى في الطاولة والأطباق متسائلة؟! أي إبريق شاي يقصد؟ فهو لم يضع سوى صحنين تفوح منهما رائحة الفلفل والشعير معاً، فتحت الطبق الأول الصغير الذي كان مقعراً وهو من فخّـــار وغطاءه الراقي الصغير أيضاً من فخار، أبيض زين للناظرين، فتحته ففاحت منه رائحة الفلفل والثوم والملح والسمك الطـــازج، وزلعت صنّـــة المرقة عيوني، كان طبقا به مرقة حوت لحمه طريٌّ طازج ذوقه بالتوابل العربيّة، وكان الآخر طبق صغير لكنه من لفيفات النخل، إنه قُــفَّة، ومن فوقها خبزتين بنيتين تفوحان برائحة الدقيق والشعير، وتلفحان بالسخونة ، خبزتين صغيرتين مُدوّرتين في حلّة عربيّة، التقطتُّ الملعقة وأخذت أتذوّق المرقة، رشفت منها رشفة فتبعثرت نكهاتها بين ثوم وفلفل وطعم سمك في فمي، ياللروعة!!! كـــانت لذيذة حقّا، ثم التقطتّ خبزة وأخذت منها قليلاً، ثم أكلتها وصرت أمضغها بأسناني، ياللروعة، إنَ أكل العلر شديد المراس وجـــافّ لذالك هم مهابون، وسجاياهم كأكلهم وأطعمتهم ، لكنه رائع...

وصرت أتذوق المرقة وأنقع الخبز فيها باشتهاء، مستمتعة بالتجربة، !حتّى اهتزّ هاتفي على فجاءة!! مصوِّتاً بنغمة مستفزّة، فأخرجته ثم لمحته على اشمئزاز كنت أكاد أدخل في اجواء العروبة وأعيش اللحظة في هذا المطعم الفسيح ذو الأثاث البنيّة القيّمة والأضواء الهادئة البرتقالية، حتى قاطعني المشؤوم ريمز برسالة!!!

...نِكَـــــاتْ...

ارتديت جلبابي الأسود وحجابا أبيض اللّون، وصرت أغدوْ إليها وأنا أمرّ بين رجال ونساء وأطفال لم يبلغوْ الحلم والعاملين من الندل وغيرهم، فأراها قد أخرجت هاتفها تحدّق به بنظرة شكّ وعينين نصف مغمضة، كأنها تتأمل في أمر هامّ، ويدها الأخرى فوق الطاولة ممسكة بملعقتها وهي تنظر أسفلها بين حجريها إلى الهاتف، يبدوْ عليها القلق والتوتّر، وها أكاد أصل لها فأسير إليها من حيث لا تشعر...

...مَارِيــــة...

فتحت الرسالة، فكانت الامرأة هندية سمراء البشرة، سوداء العينين غائرتين، مكحلة الحور، فمها صغير كذألك شفتيها الحمراوتين، ترتدي حجاباً أسودا، حاجبيها متناسقين، أحسبها من الهند، كانت لها حرقة بجبينها، كندبة أو شامة بنيّة غامق لونها، ثم أردف ريمز برسالة أخرى كتب فيها...

نكات محسن خان...

عميلة مخابرات من الدرجة الثانية...

الديانة ـ الإسلام ـ

عمرها 32 سنة...

جنسيتها ـ هندية ...

إنها هنا معك تراقبك فاحذري!!!

...نِكَـــاتْ...

وقفت أمام طاولتها بغتة!! وهي لم تلحظ ذاتي من شدّة انتباهها للهاتف تحت الطاولة، وقفت أمامها مباشرة كطيف أسودٍ ثم سحبت الكرسيّ إليّ مجرجرة إياه بالأرض، حتى أدركت أن فلاناً أتاها، فلما رفعت وجهها إليّ

تعجّبت واضطربت بنظرات متشنجة، وأنا أعدّل جسدي كي أقعد على الكرسيّ معها، قلت لها: السلام عليكم، بنبرة تهديد وتخويف...

...مَارِيّـــــة...

وأنا أقرأ بتمعّن رسالات ريمز، وإذ بي أسمع صوت امرأة أمامي تقول وهي تجذب الكرسيّ ناحيتها: السلام عليكم، مهلا يا سيدتي من سمح لك أن تقعدي هاهنا، قالتها وكأنها تهدّدني بنبرة غليظة وبأسلوب المرأة الحديدية، ولما قعدت واستوت على الكرسيّ، حدّقت فيها كانت امرأة محجبة كالمسلمات، كالغول أسوداً، بجلباب فضفاض وحجاب أبيض، !!!هيه!!! إنها التي في الصورة، واضطربت على بعضي، وبدوت كالبلهاء، أقلّبُ بصري أرى المرأة التي أمامي وهي تنظر إليّ بنظرات ثابتة، وأنظر إلى المرأة التي بالصورة، !!!بلى!!! إنها هي، نفس الشامة، نفس الملامح، يا للحرج ...حتى اقشعرّ جسدي كلّه...

...نِكَـــاتٌ...

سألتها لمّا اضطربت وصارت ترفع رأسها وتخفضه كأنها تقارن بيني وبين شيء ءاخر، لمحت فيها أنها أرعبت، ووقعت في قلبها فزعة وترعيدة، تحملق فيّ عن هلع، فقاطعتها بسؤال بنبرة أشدّ تهديدا وتخويفاً أكثر من التي قبلها، عـن ما تبحثون؟ ورشقتها بنظرات مرعبة نصب جبينها لتشعر بالتوتر وأزيدها خشوعا...

أعرف مارية جيّدا، رأيتها عدّة مرات في مهمات عديدة، رأيتها في عملية انفجار بيروت، وفي مفاوضات النووي الإيراني، وفي مذبحة الهند، ومرّة عند تنقيب أحد الآثار بأهرامات مصر، ورأيتها كثيراً، لكنها لا تدري عني أيّ شيء، سألتها مجدّداً، إذا عن ما ذا تبحثون؟...

...مَـــــارِية...

يا ويلتى!!،باغتتني بسؤال تقول: عن ما تبحثون؟ وهي تجلس بكل ثقة، كنت أعرف كيف أضبط نفسي وأن أتصرف في هذه المواقف المحرجة، فتراني عميلة لأكثر من 28 سنة مضت، أعرف كـلّ شيء، إذ لم اختاروني جماعة الملاحدة أن أعمل معهم، جماعة الملاحدة æ...

هي منظمة عالمية سريّة ليس لها مكان محدّد في العالم، لكن ما أسمعه من الزملاء الذين أعمل معهم أنّ بعض مقرّاتهم تتواجد أحياناً في ولاية شيكاغوأ، وأتلنتا، وميامي في الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي دول أخرى مثل رومانيا وفرنسا وولاية الإمارات العربية المتحدة و أنفار قلّة بتونس، ومواقع كثيرة لا يعلمها أحد، ولها من الإنترنت غير الإنترنت الذي يستخدمه العالم، فلهم شبكات خاصّة، لا أعرف الكثير حقيقةً، فإني عميلة مهمّات فقط، مـــا يهمّ، أنها تهدف للإبادة الديانة الإسلامية، وإن لم يكن المسلمين هدفهم حرفيّاً، لكنّا نبتغي سعيا أن ننزع الفكر الإسلامي من جذوره، ويعملون من حيث لا يدري عليهم أحداً من العالمين، يثيرون الفتن بل يخلقونها بين المسلمين وتفريقهم...

الماسونية، مــاهيَ إلاّ مجرد جزء صغير من هذه الجماعة، ولهم كتاب يتبعون أوامره وهو ال.....

...نِكَات...

: اعلمي شيئاً واحدا فقط، اعلمي أن الله يُحقّ الحقّ بكلماته ويبطل الباطل، رفعت ناظريها إليّ بازدراء، فقمت من الكرسيّ وأخذتّ مدبرة بعيدةً عنها...

...مَارِيّـــــة...

نظرت إليّ بنظرات متجهّمة، مقطّبة الوجه، وزمّت شفتيها، ثم أدبرت عني، شعرت بالغيظ تجاه ريمز، لقد جعلني أُضحكة أمامها، كانت هذه المرأة ترعب قلبي وتبثّ فيّ الوجل، لا أعلم لم؟! ءاه... مرت دقيقة... وصرت أتنفس بهدوء، شهيق...زفير...شهيق...زفير، ذهب عني الروع قليلا، لملمت أفكاري بعدما تبعثرت، وأرى المطعم حولي، والأنوار البرتقالية التي ترقص داخل الثريّات، حتى بعدما حدث لي لازالت ترقص على حالها... وتبقى الحياة تجري في مجاريها، ولكن نحن الذين نقيل عن مجارينا، أرمق طاولة لعائلة عن يميني يأكلون وهم فرهين، وأتى عندهم نادل وأعطى لهم كؤوس بها عصائر ومشارب، شكرت الزوجة النادل بخلق لطيف والنادل ألطف منها، وأبوهم يأخذ منه الكؤوس ويضعها على طاولتهم، وطفليهما ينشران الفرح والسرور، وكل العائلات هنا كأُولآء، لمحت حالي وما أنا عليه، شعرت بالذل والخزي، وراودتني نفسي قائلة: عليك توبيخ ريمز فلقد أودعك في موقف محرج... ألمح أطباقي التي أمامي، كانت المرقة قد بردت، التقطت خبزة وصرت أثقب فيها ثقبا صغيرا لأدسّ الشفرة بداخلها... هيّـــــا... أين إبريق الشاي؟ لقد كللت، أريد أن أخرج...

==

..نِكَـــاتْ..

توجهت من بعد ما فارقتها إلى الخلاء لأرتدي زيّ النادلة كي أرجع إلى العمل، بدلت ملابسي ثم انطلقت إلى المطبخ حيث ينظفون الأواني والصحون ويغسلون الكؤوس، فرمقني نادل يقف وقفة ثابتة، طويل عريض ضخم المنكبين، له لحية حلّقها، أسمر البشرة قليلاً، نظر إليّ بنظرة تهديد كأنه يريد أن ينقضّ عليّ، كانه جبل هامد، مهاب، بثّ في

صدري رهبة، ألمحه وهو يحمل سقرة فيها إبريق شاي من الطراز العربي نحاسي اللون ومعه فنجان صغير من زجاج عسليّ اللون وبضعة قطع من البقلاوى المعسّلة المرشوشة بفستق حلبيٍّ مجروش، ثم تظاهرت بأني لم أره، ويْ من نظرات البغضاء تلك التي رمقتني بها، وبعد ثوانٍ انصرف...

...مّـــارِيّة..

وأخيرا... لقد نفد صبري، أقبل إليّ ذاك النـادل بسفرة فيها من الحلويات ما فيها وألمح إبريق شاي نحاسيّ كبير من هاهنا، فلما وصل وضع السفرة، وصار يصبّ الشاي الساخن وهو يحمل الإبريق بيده يرفعه وينزله ويسكب شايه الذي لازال يفور ويغلي داخل الفنجانة العسليّة، ثم وضع الإبريق جانبا والتقط صحني المرقة والخبزتين وأخذهما بيده ثم انصرف، قلّبت الإبريق بيديّ على أن أجد الشفرة حتى تحسّست بإصبعيّ أنها ملصقة من تحته، شفرة مربعة حجمها كالثمرة، صغيرة، أخذتها ودسستها بين أكمامي ثم خرجت...

==

...نِكَـــاتْ...

ولما جاء وهو يحمل صحتي تلك المرأة، نعم إنهما صحيها فعلاً، أراقبه بحذر بين هؤلآء العمّال كلهم، ثم لمحته يأخذ من إحدى الخبزتين شيئا ودسّه بجيبه، ثم سعل وذهب خارجا، كأنه لم يصنع شيئا، فتركت كل ما في يدي وصرت أتبعه على خفا...

...عِمــرَانْ...

كمشت بيديّ كسوتها السوداء التي عبق منها أريج العود الجليل الذي يبثّ في الروح العشق والزهد، ثم جذبت نفسي إليها وضممتها على صدري وألصقت حنكيَّ على جدارها، أُقَبّلها، ثم أغمضت أجفاني، وصرت ألوج إلى الله، شعرت أني أغادر بدني لوهلة، وصرت أتحسس بما لا يمكن وصفه، صارت الأصوات تتلاشى شيئا فشيئا، وكأن ءاذاني أصابها صمم، وبصري به كمه، وتصفّى لبّي وقلبي صار ينبض بسكينة، لكن كأنه ينبض لنغم ما؟! وتحسست قرب الله لي، بدأت روحي تتفرج على مسكنها، شعرت بالدفء والإيناس، صارت تتغشّاني نفحات من رَوْح الله، رغبت الإنكسار وطلب الصّــفح، وصارت أجفاني تهنهن، ونفسي تحصحص ذنوبها وسيّئاتها بعد ما خبأتها وأسرّتها، وسرت حرقة بأنفي، وصرت أبوح حبّي لله وأبوح له بضعفي وفراغي، وأفشي له أن حياتي التي أتظاهر بأني راض بها وأني مستمتع بها، كــلّا، أنت تعلم ما في سرّي ولا تخفى عليك خافية، وصار الدمع ينهمر على خدّيّ بقطرات ءاسنة، تذكّرت ربي، وصرت أجهش بالبكاء كالطفلة إلى أبيها، وأنفي تسري به حرقة حتى صار يبكي معي، وجسدي يقشعرّ من شدة الحياء وصار يرجف رجفاً، وتشنّجت أنفاسي، وذقني صار يهتزّ هزّا، ونواجذي تصكّ صكّــاً، وأنا أمسيت أنحب كالمرأة مهنهنا لله، قولي يا نفس أني سئمت الدنيا كلها ومللتها، قولي أنكي اشتقتِ إليه، بلى اشتقت إلى فاطري وخالقي وكلّ كلّي، أنت الحبيب، وأنت القريب، لم يعد عندي فؤاد يهوي أحداً إلاّ أنت، أنت أبي وأمي وكلّ أبناءي، أنت خليلي، مولاي زهدتّ من هذي الدنيا كلّها، وصرت أريدك أنت؟! نعـم أنت، أنت فقط، لست أريد مؤنساً سواك، ولا حبيبة عداك، ولا خليلا إلاّك، أنت الحبيب الأول والآخر والظاهـــــــر والباطن، مهما نقّلت هوى فؤادي بين الناس كلهم، سيرجع إليك كان ذالك أمراً مقضيّاً، أحنّ إليك كثيراً، وكم أصبواْ لك جمّا جمّا، أيوه... أيوه أيتها الأشواق... والدمع يكفكف من وجنتيَّ مرقرقا، يجري

كنهر دافق، والقلب يذرف ءاثامه ويبتهج، والرّوح تزلزل وتكاد تنفطر، وفيض مشاعر حرّى لا أسطيع لها وصفا إلاّ الصمت... :اللّهم لك درّي، لكم تركت في سبيلك مطالبا كثيرة كنت أشتهيها، ولكم صبرت على أيـّام كنت أقاسيها، اللّهم إني نويتك أنت وحدك، روحي تقول: أريد أن أسبح في فلك التسابيح والتماجيد، تريد أن ترقص على ألحان الذين ءامنواْ وعملواْ الصـالحات، اللّهم لا تذرني أسيرة لهذا القفص الطينيّ، رُدّني إلى موطني، ردني إليك كيْ أحيا، إني أريد أن أرجع إلى كيانك، أن أرجع إلى مأواي الأول، أثقلت في ضيق السموات والأرض، تالله إنها لضيّقة عليَّ، لقد مللت يا الله حتى متى... ربّ أنا منك... ربّ ارجعون، لا أريد أن أتنفّس كـيْ أعيش، أريد أن أموت كيْ أحيا... اللّهم احفظ المخطوطة الّتي عندي عند عبدٍ لك من عبادك الصالحين، أودعها إلى عبد مخلص حنيف لوجهك الكريم، واظهر فيها الحقّ وانصر بها الإسلام، واجمع بها شمل المسلمين كــآفّة في شتّى بقاع الأرض، ودَمّر أعداء الدّين...

...مَـــارِيّة...

بعد كل ذالك الخزي والعار والمهانة، رجعت إلى الغرفة، مآرّة بالمصاعد والممرات وكثير من الناس، أسير وقد طار طائري، تقول نفسي تحدثني: يا لمارية المهانة...

ـ أجبتها: كل ذالك بسبب ريمز إذ جعلني مبهمة لم يقل لي أن هناك امرأة تعمل كعميلة هنـا

ـ ردّت بنبرة فتنة: حقيقة... عليك أن توقفيه عن العلوّ على كرامتك، لأنه صار يدوس مقامك بين قدميه

ـ بلى، لأفعلنّ له ما يكره، قلتها بغضب وسخط...

ها إني قدام باب الغرفة، ما عليّ اعلان إلاّ أن أدخل وأصرخ عليه وأوبخه توبيخاً، ثم أتت نفسي مسرعة تشعل لهب الفتنة بيننا قائلة: نعم، تشجيعا

على أن أقابحه، قبضت الباب فكان مغلقا، يبدوْ أنه أغلقه بالمفتاح، فطرقت الباب بهجن، فأردف معاتبا بصوته الغليظ المظلم من داخل الغرفة يقول: حسنٌ، ثم ابتعدت خطوة للورا أنتظر متى سيفتح الباب، فأدار المفتاح أن فتحه، تعرف هذا من صوته، ففتحته أنا ودخلت، ثم صرت أحدّق فيه بنظرات لوّامة وتشي بالحقد، !وهو لا يبالي بي! وكعادتي حين أرى من يعتبرني دنيئة أو يعاملني كذألك، أعامله بالتي هي أشرّ وأمرّ، وأستسخره في نفسي، :أهذا الّذي ذلّك تذليلاً، قالت نفسي بنبرة محقّرة، إن كاد ليضلّك عن عملك فسوف يعلم مصيره ولو ألقى معاذيره، أجبتها : نعم، وقد زادتني ناراً على ناري ،فصرت نارا على نار، ودخلت فسألته: ماتصنع؟! فتلفّت إليّ وأومأ بسبّابته إلى فمه أن صـهٍ، كان يجهّز للقيام بعملية ما، إذ أخرج جهازاً من الحقيبة الرماديّة الدّاكنة، وكان قد تقرفص هنالك غريباً، في زاوية الجدار الزجاجيّ من الغرفة، حسنٌ، عليّ الإعتراف، كانت الغرفة راقية، بل وفخمة وجميلة، ولائقة حقّا، مهما أنكرت ذالك فهي راقية، وما كنت لأعترف بذالك لولا أني رأيت ريمز يفسدها ويخرّبها، حين يُشَوّه شيء جميل، كان قلبك ينكر جماله، فحينئذ يشهد قلبك ما أنكره، كانت الغرفة فسيحة وفخمة وبأسرّة عريضة مريحة، كانت باللّون القرمزيّ من تصميمها، وأثاثها جميل كذألك، لم نكن نطلّ على الكعبة لحكمة ريمز يعلمها، ما يهم منذ قليل شغّل ريمز الجهاز !! إنه القاطع!! إنه قاطع الزجاج، وصار يلصقه عند زاوية 45 درجة بيسار الحائط الزجاجيّ، وصار يقطعه ببطئ والجهاز يصدر كحرف السين، يعمل في صمت، إن ريمز غموضيّ وأسود السريرة، أحدث نفسي: ماذا يصنع هذا الرجل؟ ثم حتى متى ستبقى علاقتنا هكذا؟ سوداء مملوءة بالنفاق وكل شيء باللّف والدوران عنده، فقط أنصت إليّ أخبّرك عن تلك المرأة التي لاقيتها عند المطعم...

...أسود...

...كذب، نفاق، خداع، مكر،...

...معيشة ضنكى...

...نكَـــات...

وهو يسير وأنا أسير من خلفه مباشرة بثلاثة أذرع أو أربع، يسير فأسير، متسللة متوارية عن ناظريه، لا أريد أن يعرف أني أتبعه أو أراقبه، ونحن نسير في ذاك الممر العريض، أهذا الضخم القويّ يعمل نادلاً؟! كلاّ؟! إذا لم كل هذي العضلات والبنية القوية، يمشي بترنح يمينا وشمالاً، كأن به عوجاً، وأنا من وراءه أتساءل، هل ينبغي أن يكون نادلاً؟! أظن أنه يعمل شريكاً معها، ثم دخل بغتة عن شماله الغرفة رقم 12، وأنا مختبئة خلف هذا الحائط، أفّ كاد أن يراني!! حسن... الغرفة رقم 12 إذا...

{ المكتبة } الساعة 6:41 م

...يَزيـــــد...

برائحة الغبار والأوراق، تحت هذا السقف البالي الذي يكاد أن يقع على رؤوسنا، داخل هذه المكتبة القديمة، المتشققة جدرانها، وبمكاتبها الرثّة وأثاثها البالي، وتارة تلمح فأراً يجري في حناياها بين بساطها وحائطها، ورائحة نسيج العنكبوت تصنّ في مناخرنا، دار ضيّقة تضيّق صدر المرء وتغمّه، في وسط هؤلاء الطلبة المتديّنين أقعد هاهنا، وقد أقعدنا الشيخ عادم أمامه على شكل حلقة، ثم سألنا موجّها سؤاله للجميع: أسمعوني حديثا من أحاديث النبي ﷺ عن وجوب طاعة السلطان، نحن نتدارس هنا أحاديث النبي ونحفظها، حسن، إني لست مثلهم فلا أحب البقاء هنا أبداً، ولتعلم أني لست أحبّ منهم أحدا أبدا، أقرأ معهم ليس حبّـــاً فيهم ولا رغبة فيّ، ولكن الدهر كبّـــني بين هؤلاء المنحطّين، إذ أغصبني أبي على أن التزم معهم، فتراني هنا أوافق الرأي معهم وأميل معهم أين مالواْ، إن قالواْ الحق رضيت به، وإن قالواْ الباطل سكتّ ولم أبدِ شيئاً، قل ما شئت فيِّ، قل إمعة، قل ما تريد، حين تذهب للأدغال وفجأة تفترسك الوحوش

هنالك لا يقولون أن الوحوش افترسته، بل يقولون هو من تعدّى حدودها، هذا إن لم يكونوا هم الوحوش، حين يرميك الزمان في بئر فلا تنتظر سيارة أبدا، ما يهم أني ختمت القرءان الكريم من قبل وهذا كان كلّ أهدافي، وحين وصلته لا يهمني ما دونه...
رفع أغلب الطّلبة أيديهم لما سأل الشيخ سؤاله، وهو يقلّب بنظراته يفتّش عن الطالب الذي سيُسمع له الجواب، لم أرفع يدي معهم لأني كنت متأكداً من أنه سيختار عبد البارئ، الطـالب الذي حفظ مسند صحيح البخاري كاملا، إنه الطالب المميّز عند الشيخ ءادم، وهو شغوف نحوه، ولست رفضت رفع كفي معهم لهذا السبب فحسب، بل لأني أعرف أنه لا يبتغي من هذا الحديث ذكره، بل يبتغي ما وراءه، يلمح لشيء ءاخر، كم أخبثك يا شيـــخ، لست أقول هذا لأني صرت أكرهه، أو أقول هذا لأنه صار يفضّل عبد البارئ عليّ من بعد ما كنت أنا قمر طلبته، لا، كـلا، إنما لما صار ينحرف عن الحق كثيراً، وصار يناقشنا في الشبهات، بل وصار يزيّف أحاديث النبيّ فيشرحها على هواه، أراه وهو من قُبُلي يرى عبد البارئ بنظرات شهية، صار يثير اشمئزازي، ولم تعد عندي مشاعر الغيرة أو أن أكون أنا الطالب الأول عنده، فقد صار كالشيخ كطلبتهم سواء، وهم كذألك لا يحبونني ولا يطيقونني بينهم أبدا، إذ يعاملونني من الدرجة الســـافلة، ما يهمّ، اختار الشيخ عبد البارئ للإجابة فقام عبد البارئ وقال: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، رواه مسلم، ونحن نستمع له بكل إنصات وهدوء، ثم قعد بحركاته الجسدية المؤنثة التي تجعله يبدوا كـامرأة بدوية، كنت أكره صوته خاصة حين ينطق بالراء فيجعلها تبدوا واواً مفخمة بسبيل أنه يضبط الأحكام ومخارج الحروف... كان الأذان لصلاة المغرب يكاد يؤذّن، ثم التقطتّ ذالك والإنصات بسؤال مباغت للشيخ أقول: وإن أمرك بمعصية!!! أطيع سلطاني وإن أمرني بمعصية، أعلم أنه يقل ذالك عيانا، لكنه يلمّح بل ويجزم للذي لم يقرأ الأحاديث أن عليه إطاعة الحاكم إطـاعة عمياء، ثم

تنبهواْ من الطلبة من تنبّه، ومنهم من سخرواْ وأصدرواْ أصواتا توحي بأني جاهل، بل وقال أحدهم ارموه في القمامة يا مسلمين، لـــم أره لكني سمعت أحدهم قال كذا، وفاه من فاه بسؤالي ينتظر الردّ من شيخه، حتى تلفّت الشيخ إليّ ولم يكن له إلاّ أن تبرّم بشفتيه وتجاهلني باستحقار، هكذا هي الحياة هنا، فظّـــــة متجهّمة مملوءة بالخداع وقهر الرّجال، ويريدون منك أن توافقهم دائما، أحياناً أكون إمعة حين يموت ضميري وأصير في حالة اكتئاب، وأحيانا كلا، أقف بالمرصاد كهذا الموقف، ثم أردفت قائلاً: ألم يقل الرسول ﷺ على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ أو كره... ثم توقّفت مبيّنا هذه الكلمات، ورفعت سبّابتي وصوتي قليلاً... إلاّ أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، متفق عليه، !!فبهت الذي سمع!! فمـــا كان من الشيخ إلاّ أن ضحك مستسخراً على قول أحدهم لما قال: اصمت أيها الملحد، فأردفت قائلا كأني لم أسمعهم ولم أرهم وإن كان فعلهم لتُقهَر من الجبال، فكيف بفؤادي، المهم قلت لهم: أحاديث النبيّ ﷺ كـــالقرءان تماما، أتؤمنون ببعض وتكفرون ببعض، كأن تتلواْ إن الإنسان لفي خسر ثم تقف عليها فيصبح المعنى غير المراد، بل يجب أن تكمل الآية إلى ءاخرها، ثم تلفّت الطلبة إلى شيخهم ينتظرون ردّا، لكن أنقذه أذان المغرب، أن الصلاة الصلاة فقمنا، وهم ينظرون إلي بتجهم وتهجن تكاد عيونهم بالبغض تنطق لي، كأني قمت بجريمة قتل...

...عِمـــــران...

سبحان ربك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، الحمد لله أني خاطبت ربّي بالصيغة التي لم أخاطبه بها منذ كنت طفلا، كنت روحا فارقت جسدها، وغرقت في قعر الرّوحانيّات، لقد كنت أحدّث ربّي وأنا مرتحل إليه، فهمت قصد سيّدنا إبراهيم لمّا قال: وإني

مهاجر إلى ربّي، كيف تأخذ روحك وتقلّها معك في رحلتك إلى الله، أن تذر كل شيء وتطلب الله وحده، وكيف أنك لا تقدر على الهداية أبداً إلاّ منه، فهمت معنى: الذي خلقني فهو يهدين، بغتة!! حين قمت من مقامي والناس تتغشّاني من كل مكان ولا أرى سوى رؤوس عيونها طمئت لله، ثم شدّني ظهري بألم بغتة وصارت ركبتاي تعطبانني، كنت أريد أن أرجع إلى المسجد، لكني كنت ضعيفا شيخا كبيرا ملتصق بجدار الكعبة والنـــاس يدعّونني كلهم يريدون حيزي، بهراً أن تمشي ضدّ التيار هاهنا، مظهري كجنين مكمش في رحم أمه، ولا ترى أو تسمع إلا الله الواحد القهّـــار، هذه روحي عميت وصمت عن كل شيء وصارت تقول: سبحان الأعلى العليّ المتعال، وصارت تسبح في رونق الله، أمّـــا جسدي فكان محاطا بالناس وظلالهم من كل مكان، وما من موضع إلاّ وقد وطئته قدم رجل أو امرأة وأناسيّ كثيراً، ولما ازداد الإقدام إلى الكعبة والناس صاروا يتدافعون لها بقوّة قرّرت أن أخرج، تراني عجوزاً مستنفد الطاقة، بغتة!!صارت الأجواء ساكنة، ولم أسمع من بعد التكبيرات والتهاليل إلا همسا وسكون تـــامّ، ثم صاروا المعتمرين كلهم ينفلقون من حول الكعبة أفواجاً أفواجاً، وشُقّ من قدامي طريق خال طويل لمحت في ءاخر طرفه جنود جيش الحرم المكّي ببدلاتهم الموجلة وصلابة خلقتهم المتينة، وفيهم إمام يتوسّطهم بعباءة ذهبيّة اللون ومن وراءهم أئمة ءاخرون، يسيرون من هذا الطريق الذي أفسح لهم، بعدها وأنا أشاهد هذا المشهد الجليل، أذّن مؤذّن لصلاة المغرب بإبداع وترهيب متقن، وصار يزلزل حنايا الحرم بصوته الجلجيل، وصدىً قوي بحنجرته: اللـــــه أكبر أللــــه أكبر... وكل حين يشتدّ صوته مؤذا للصلاة، ثم سرت نحو الفوج الأيمن وصار الجند يتخذون مكانهم وصار النـــاس يصطفّون صفّا صفّا بعد أن ولج الإمام المحراب، يـــا الله كم أنت عظيـــم، تالله إنه لموقف يفطّر القلوب ويصدّع الحناجر، وتقشعرّ منه الأبدان، وتضطرب فيه الأنفاس وتسكن فيه الأرواح، كلهم مصطفّين رجل رجل، كبنيان مرصوص، فوج فوج منتظرين منصتين للإذان، وقفت عند الصفة الأولى ثم ألمح السماء كيف

بدأت تتغشاها غيوم كثيفة مسودّة، وهي بلون أزرق مكحل داكن، والشفق الأحمر صار يتلاشى مع أشعة الشمس شيئا فشيئا، والجوّ أقرب للظلام...

...نكَـــاتٌ...

أذّن مؤذن: الله أكبر الله أكبر، فها قد ءانت الصلاة، لم أهتد ءاؤراقب ذاك الندل أم انصرف للصلاة، فقد مرّت نصف ساعة ولم يخرج بعد...

...مَـــارِيّة...

بغتة!! نادى مناد من مكان بعيد، كانت صيحة أرهبتني وأفزعني الذي ينادي لأنه صرخ بغتة!! يتبعه ترنماً وتلحين شجيّ يقول: الله أكبر الله أكبر، لقد أخذني هذا التجويد وهذا النداء الى مكان ما، كأنه أعادني إلى الماضي حيث كنت أمشاجا في بطن أمي، لقد هزّ مشاعري هزاً، وأسر أفكاري في صوته، كان راقيا حقّــاً، شعرت بالشفقة والتقصير تجاه شيء ما، لقد هيّج هذا النداء العربي أشجاني وأشواقي وشعرت بالإنبهار والخلعة للوهلة الأولى حين سمعته مسامعي، لكنه اعلان يشعرني بأني جزء من هذا التلحين...أو...لا أعلم ما هو... لكنه خطفني في طيات أرنامه، وبثّ فيّ ذكريات كأني منه وهو مني، كأن بيننا تشابه أو ربما صلة قرابة، ربما حـــبّ، كان يزلزل كل السامعين ويهزهم رهبة وحنينا، لقد شعرت بأمر عجاب لا أقدر على وصفه، كأني جزء من ذاك النداء...

ـ فيما تحملقين؟ قاطعني ريمز بصوته الغليظ المرعب مستغرباً...

ـ لا،لا،لا، لست أحملق أحدا، أنا هنا معك، أفزعني سؤاله المباشر الحـــادّ حين سألنييه، حين وعيت أني كنت شاردة مع هذا الأذان وأنا أنظر إلى نفسي في المرءاة بنظرات صدق وتوبة، كأنني أطلب التأسف والإعتذار...

ـ هـــا، ما حصل لكِ؟ مقطّب لبوجه، أخذه الغضب، صرخ عليّ كالفأرة...

ـ قلت في نفسي: أصُـــمَّ هذا الإنسان؟! أم هو بلا مشاعر ولا قلب، أنّى لا يؤثّر فيه هذا الأذان، كم هي متحجّرة أهواؤه..أما أنا منصة إلى الأذان وهو ينادي بكل تلك المشاعر، الحبّ، الرهب، التقوى، وكثير يبهم شرحه، ذالك الفيض من العلوم بذاتك، أن ترى نفسك حقّاً حين ينادي هذا النداء، بلى رأيت كم كنت امرأة سمحاء ورقيقة، محبة للسلام، نعم والذي خاطبني في هذا النداء انّي لمحبة للسلام والعدل، لست شريرة وفاسقة، ولو كنت عميلة أسعى مع مجموعة من الكيانات لنفتن أمة الإسلام... ثم أجبت ريمز

ـ أنا معك لاشيء، بنبرة فيها تحدّ وجدّ...

حتى بدا عليه أنه استرهبني،

ـ أطفئـــي الأضواء لأقول لك ماذا سنفعل اللّيلة بالتفصيل، بنبرته المعتادة حين يتحمس، إذ سيصير كشخص حقود ذو شهوة وغليظ، ذو نقم وتجريم، قالها وهو يتخفّت بصوته عند ءاخر كل كلمة يقولها، كـــالشيطان بدا...

...نِكَـــاتٌ...

أرهقني أن أنتظر هنا لزمن صار يزداد ولا يحدث شيء عدا أني أسمع تصوّت ساعة يدي في يدي، وأحيانا يمرّ رجل فأتظاهر بما أتظاهر، ولم يخرج هذا السيد بعد، أفّ، كفى والله لن أنتظر بعدُ هنا، فقررت أن أرحل من هنا إلى الصلاة فقد قامت، إنه عليّ الإنصراف، وما إن خطوت مبتعدة

عن تلك الغرفة ببضع خطوات حتى سمعت من ورائي صوت بابها يفتح، فتوقفت، وأراود نفسي ءأنظر أم ءابى، فقررت أن كلا، لن ألتفت، ثم أكملت سيري كأنه لم يحدث شيء، ثم توجهت إلى المطبخ رقم 2 كـيْ أصلّي، إنه مطبخ ليس به شغل أو عمل لأن عماله وطهاته لا يعملون فيه إلا يوم السبت واليوم هو الخميس...

...يَزِيــــدْ...

خرج كل من في المكتبة إلى الصلاة لأنها ءانت، ووقفت أنا عند أول صف رأيته قدامي، وبعد ثوان سمعت الإمام يقول: استووا واعتدلوا ثم أردف قائلاً بعد ما اعتدلت وأصلحت من وقفتي، كنت لا أسدّ فرجات الأقدام، كلا ولن أفعل، ألصق أصابع قدمي بقدم امرئ ءاخر، لست أراها فعلة خلوقة، خاصة حين تكون برفق ولين، كنت أجعل بيني وبينه مسافة ظفر، وإن ألصق هو أبعد قدمي بسرعة، لكن أحــادّ منكبي بمناكب المصلين، أما الأقدام فهي تبدوا لي أفعال مسيئة للمرء، ولوهلة قال الإمام: الله أكبر...

...عِمْــــرَان...

قال: الله أكبر، ومن تكبيرته ذي تشققت أضلعي وانتثرت، إذ زلزل صوته اءلاذان وهي له صاغية، أخذني صوته البحيح عند الطرف الأخير للعالم، غادرت روحي القبر الترابيّ هذا، أشعر بها تعرج تلقاء السماء مرة بعد مرة، ترتجف جلودي رجفا، ويوجف قلبي وجفا، وسرت بمناخري حرقة حرّى، وجرت بخدودي المدامع جريا، وغبت عن عالم الشهادة، ووطئت عالم الغيب استجمع كلماتي لأحدث ربي عزّ شأنه، لم أعد أبصر شيئا عدا

النور، صارت كل جوارحي ترتعش رعشا، أما المدامع فقد صارت تردف كسيل الأنهار، وتوقف عني الليل والنهار، نسيت كل شيء، كل شيء،

ـ الحمد لله رب العالميـــن، مرنمّا صوته ويجهره جهرا، به بحّة تزيد فيه الهيبة والخشوع، كأنه يتلوا بقلبه لا بحنجرته، وكل حرف يرتله يخترق قلبك كالخنجر، مما جعلني أصدر صوتا يشبه الأنين من شدة تركيزي مع ما يتلواْ، تأتي لتدبر الآية وتمشي مع التيّـــار المعتاد في الصلاة وإذ بك تصير تبكي بأنين بلا حول منك، فتحت عيني قليلا حتى لمحت رموشي كأنها تتلاشى، والصورة بدت مشوّشة من الدمع، فتراك تبكي وتبكي...

ـ الرحمن الرحيـــم، صار المكان حشد مزلزل مجلجل، مع تجويد التلاوة التي تشعر كأنها تعرّيك من الخطايا، وكأنها تشق صدرك لتخرج روحك وتنقّها، الصدى في كل الحنايا رهيب، صرت كالعود أبثّ مدندنا أشجاني وأحزاني، اللهم... وتتكسّر كل الكلمات ويعجم اللسان فلا أسطيع أن أنطق، كأن الحروف محاها اللوح المحفوظ، كأني رضيع لا أنطق...

ـ مالك يوم الدّين، ونزلت هذه الآية بمسمعي كالصاعقة، أرعدت فؤادي رعدا، وتضارب الغمام هاهنا مما شعرت كصداع في لبّ رأسي، كيف لا، وهو قد صدّع كيان روحي، وحطّم منبر خُيلاءي، صارت الآيات تؤزّني أزّا، ومزقت قلبي القاسي تمزيقا، نهشت خبثي وسيئاتي نهشاً، وكشّرت وعبست في الجانب المظلم بيّ، اللهم يا مالك يوم الدين ، أنت مليك أمري وأنت السلطان عليّ، أسلمت وجهي لك حنيفا مخلصا وما أناْ من المشركين، كأني بسكرات...

ـ إيـــاك نعبد وإياك نستعيـــن، تلاها وران صوته بحّة وتجهيرا، أيْ ربّــــاه، قلت أصرخ في وسواسي، أقصد بها تسبيحة، عمى بصري فلا أرى إلاّ الله، وصمّ سمعي فلا أسمع إلا الله، وشُلّ جسدي فلا أفعل غير الله، تسبيحة على تسبيحة، والصمت في ذكر هذا أبلغ وأحكم، لكن رغم كل هذا الرهب والهياب وتحقيق الحقّ وظهور عليّـــة الإسلام، تلمح شيئا ساكنا لا يتحرك، شيء في طمأنينة ساه، ليسواْ قوما يُروْ لكنك ستشعر بهم،

سكون وروح وريحان، تالله تشعر بهم، وبعدها فتحت عيني لوهلة فلمحت ريشة بيضاء ترفرف يمينا وشمالا متقلّبة تنزل برفق إلى الأرض قدّامي...
ـ اهدنا الصّــراط المستقيم...

...يَزِيــدْ...

في وسط الصلاة وأنا أحكّ أنفي بسبب الحساسية التي عندي، أحكها بعنف بباطن إبهامي ممسكا بمنخري الأيمن من أسفله، وأهزّها بعنف حتى تصوّت، وما إن تركت يدي شعرت لحظتها أنها تنزف، ثم بدأت أرعف، بعجلة أمسكتها وصرت أخرج من بين المصلين المصطفّين معانكاً من بينهم، أسرع، أسرع، والأنف ينزف الدم منه قطرة قطرة، حتى هِبت ءاخر صفّ فوقفت قدّام رجل لأنه أوقفني موحيا بيده أن قف، لا تقطعني وأنا أصلّي، أغاظني هذا، ألا يعلم أن هذا جائز في الحرم المكّي، أم تراه يراني كلباً أسوداً، لطمت يده بعيدا ثم خرجت توجهت أجري بكل قوتي إلى الخلاء لأغسل هذا الرعاف الذي صار يسيل من يدي على الأرض، أرمق كفّي فأرها ملأتها الدماء، بكل التأسي أؤسي نفسي وأعزيها لفواتها صلاة المغرب في جماعة، قد ملأ قلبي الشفقة والتأسف، أقول في نفسي : يا أسفى عليك يا يزيد، وأنا أركض ركضاً بكل عجلي فمررت قدام المكتبة حتى!! لمحت فيها... !!يا بهراً!!

...عِــمْران...

في كل ذالك الخشوع والخضوع والروحانيات، والإمام قد أتم قراءة سورة الفاتحة، ثم أخذ نفسا عميقا وزلزل المسجد كله قائلا ءامين، تشعر أن كل زاوية في الحرم تهتزّ من تقوى الله وهيبته، منظر يفطّر الأبدان ويقطّع الأنفاس، ويحيي الروح تارة أخرى، تشعر بالحرج لأنك ستعلم حينها أن

الصلاة هنا تذيب ذنوبك فتستحي من نفسك لأنك تشعر بملمسها يسيل على جلدك كالعرق، واءلان أنتظر الإمام ماذا سيقرأ، وأهمس في سمع الله أشكو له أقول: ربّ هب لي رجلا أمينا يخشاك وحدك ولا يخشى أحدا سواك، اللهم إنك قد ءاتيتني حلا لهذه الفتنة، فاللهم تراني صرت شيخا هرما لا أعلم ءاوْعمّر بعدُ أم تتوفّاني المنية إليك، اللهم ارزق لهذه الحقيقة أمينا قويّا يصدح بها ويعود بفضله جمع المسلمين ويرجعهم سيرتهم الأولى، يلمّ شملهم، فقد قسّمت دولا بسبب هذه الفتنة ونشبواْ صراعات شتى لا زالواْ يقتتلون عليها المسلمين، ربّ كما ءاتيتني علما وحكمة ورزانة فهب لهذه الحقيقة رجلا حقيقا قويا أمينا، ينهي بها هذه المضحكة التي سبّبها أعداؤك، واخشى أن يتطاولواْ على ءاياتك بعد...

ـ إلاّ تنصروه فقد نصره الله... أيـــوه، هزّت كياني هذه الآية لما علمت أن الإمام سيقرأها: ثم أردف يقول: إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كـفرواْ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه... وهو يشتدّ بصوته عند كل كلمة يتلوها، زخرفا وتزيينا، صارت روحي ترقص في روح الله، تسبح مع نوت مداد كلمات الله، والصوت الذي في الحرم يُحِنّك إلى الجنّة، ويذكّرك بأيام الله، ويشعرك بأنه عليك الإستحياء من أن تسأل الله كل يوم هو في شأن، يحرق سيئاتك التي في جواك، ويكشف عن الحجاب الذي خلقته بينك وبين الله، وأردف يقول: إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، وصار يضخم صوته ويعلّييه، ويضجّ كياني من خشية الله، ثم أوحى إليّ أن الله سيرزقني إنسانا أمينا ليكمل الرحلة ويصدح بالحقيقة ويأتمن عليها، فلا تحزن يا عمران، إن الله معنا، كأن هذا الذي سيأتي يحدّثني، مما أشعرني بالراحة والإطمئنان، ثم أغمضتّ عيني وأستمع للإمام يكمل تلاوة تلك الآيات ويرنّمها، وأنا في قمة الرضا والصدق مع نفسي...

...مَـــارِيّة...

تركني ريمز وغادر الغرفة لما جعلني منبهرة وتتخبط في عقلي التساؤلات، خطة ماذا هذه؟! ماذا ينوي أن يفعل هذا المرء، تركني وحدي في الغرفة وخرج منها ثم أغلق بابها، وأنا مرمية على السرير ميئسة، ثم خطرت ببالي خاطرة وأنا أنظر للسقف، دعني أبحث عن معلومات أكثر عن ريمز، فبحثت في جهازي الحاسب الآلي أكتب ريمز رايلي... حتى ظهرت لي صور له وصورة شخصية، واسمه واسم والده واسم والدته ومكان ولادته وتاريخه وجنسيته ومهنته، أمريكي، ديانته ملحد،...

!!طب!!

!!طب!!

!!طبطب!!

طرق أحدهم الباب...

...نكَاتْ...

وصلت المطبخ وكانت جميع أعيم الحاضرين تكاد تلتهمني من الغيظ، كالعادة تظاهرت بالجهل وكأني صمّاء ولا أعقل، ثم توضأت ودخلت المطبخ(2) الخالي فرشت على الأرض منشفة طاهرة ثم كبّرت أصلّي، وفي وسط الصلاة داخل هذا المطبخ الذي قد أطفأت أضواءه ولا ترى إلا ظلال بعض الأثاث وخطّـا طويلا يرسمه ضوء من فرجة الباب، سمعت الباب كأنه قد فتح ودخل أحدهم إلى هاهنا، والمطبخ مظلم، وصرت أسمع تصوّت قرع أقدام من خلفي، توترت كثيراً، وحاولت أن أنتبه لصلاتي، وتركت أمري لله، واقترب الذي جاء فقد صرت أسمع حسيس أنفاثه، ودقّات قلبي تزداد، ثم ركعت، وأشعر به يقف خلفي مباشرة، إلى يميني أقرب، رفعت من الركوع فرشقني بإبرة في جيدي، حتى طعنها كاملة برقبتي، فشلت أعضاءي من الفزعة، فالتفتّ لأراه لكن الألم يعصرني من كل مكان حتى هويت على الأرض مسقطة، فقلبت نفسي لأراه...!!!!إنه!!!

...يَزِيـــدْ..

والدم ينزف مني في كل مكان، حتى صارت ملابسي كلها حمراء ملطّخة دماً، وأذهل عيني لما رأيت ذاك، كذّبت نفسي في البداية لكن اعلان أيقنت أن هذا المفعل حقيق، لقد رأيت شيخي الشيخ ءادم بلحيته الكثيفة الطويلة القبيحة وإزاره المرفوع حتى ركبتيه، وهذه التقوى المصطنعة وكل هذا النفاق، رأيته يخفي موضعا ما تحت البساط، دعني أحدّثك عن المكتبة، إنها ضيقة أي تضييق ربما تسعة أذرع مضروبة في أربع عشرة ذراع، مستطيلة شكلها، رثّة بالية لا بلاط لها، هكذا أظن، تبلّت كل سجادة فيها وصارت كالأصواف المجعّدة، أما بساطها مخموج من شدّة مرور الأيام عليه، من يوم درس الألبانيّ هنا، كتبها رثّة، مخمجة، أكلت هوامشها الفئران، يعلوها الغبار والغبار، كأنك في صحراء الربع الخالي، لا أعلم لم يكادون يقولون عليها صلّ الله عليكِ وسلم، يقال أن الإمام الألباني درس هنا لفترة ما، يقدّسونها لا أدر لم، ربما لأني بلا قلب، نعم أعتقد أني بلا مشاعر، ربما لأني... لا أعلم، ما يهم أني لمحت الشيخ ءادم الذي لا أطيقه وأطيقه، يرفع بساطا باليا من أرضيتها التي تشبه الصحراء ولأنها كلها الحجارة والحصى، وصارت كل المكتبة غبراء من تحريكه البساط، الذي له دهور وسنين وهو ديموم هنا، لا يريدون أن يغيّروها أو يرمّمونها راقية، هكذا لأنهم زاهدون، كلا والله... تخيل أن خشب المكاتب بائر يكاد أن يقع، كأنه شبه محطم، كل شيء قديم وبالي، نعم كنت أسمع الزملاء يتحدثون عن قبو سرّيّ ما قبو سريّ، لكن لا أبالي لهم، أحسبهم يظنون ظنونا وأباطيل ويلعبون في حديثهم البعض، وما إن تلفت الشيخ ءادم لأنه سمع شهقة امرئ خلفه، أيقنت أني لمحته يرفع بساطا ليدخل تحته، يبدوا أن الحدث مريب، حتى أني كذّبت نفسي، هل تراه رءاني رأيته يا ترى، لا، وما إن يرى خلفه فلن يرى سوى قطرات دم على الأرض هذا إن انتبه لها، لأني أخليت سبيلي وأكملت ركضي إلى الحمام،

وأنا أركض وتحدّثني نفسي تقول: شيخ يبقى ولا يذهب لإقامة صلاته، ثم تراه لم يبقى إلا لينظّف بساطها الذي يكاد يكون كالرّمل، لا والله، إن له لشأن ءاخر، أعتقد ذالك لأني لمحته يعمل ذالك بتهرب وخفية، لقد بان على وجهه الكذب...

...نِكَات...

وأنا في غمرات الألم والوجع، يوجعني وأنا أتقلب ألماً لا أقدر على الحراك، لا حول ولا قوة إلاَ بالله، حينما رأيت ذالك الضخم المهيب يحقنني بإرة مخدّرة لم أستطع فعل شيء سوى أن أتحسس ألمي... وقد خرج هو...

...مَارِيّـــــة...

طرق الباب وقال ريمز: هيّا هيّا سأعجّل العملية، ستكون الساعة 10:00 ليلاً، كان هو الطارق، لا أعلم لم قد يطرق الباب؟! هل يا ترى يظنني أبدّل ملابسي فــاستحى، كلاّ، إنه كالحيوان لا خُلق له، لاحظت من كثرة ترحالي حول العالم ومخالطتي للناس، أن شهوة الرجال في النساء تختلف من عقلية لأخرى، أما من ناحية الأخلاق فإن العرب هم أكثر حياءً من الأعاجم، حتى الكفّار منهم، تسري في عروقهم الحشمة... رمقت ساعة يدي فكانت الساعة 7:12م، بقيت على العملية 3 ساعات و 48 دقيقة...

...عِـــمْرَان...

ـ السلام عليكم ورحمة الله، قال الإمام متمّين الصلاة، وقمت فوراً لأذهب وأجلس عند تلك القباب خلف المصلين عند ءاخر الصّحن، وما مرّت لحظة حتى قام الإمام مغادرا مقامه، والناس صاروْ يعودون سيرتهم الأولى، من كان يطوف يطوف، ومن كان يصلي يصلي، وصنع كثير من الرجال مثلي قاموْ ومضوْ إلى نهاية الصحن يتكئون، وتقدّمت النساء الى قُريْب الكعبة، وأنا أسير معانكا هذا وذا، حتى وطئت موضعا خاليا من الناس عند ءاخر الصحن، ثم لمحت زاوية من الزوايا، فقلت أمضي أستريح إليها، وسرت حتى أتيتها فجلست ثم اتكأت عليها واضعا ظهري وعضديَّ عليها، وأفرشت قدميّ أمامي طولاً، وصرت أنظر إلى كل هؤلآء القوم، لا أقصد المعتمرين أو المصلين، ولا المعتمرات والّلاتي يصلين، بل هؤلاء الذين يتحدّثون عنّـا، ونحن في غفلة لا نسمعهم، هذا الجيش النورانيّ، كيف يروننا؟! وأنا أستمتع بأجواء الحرم والخشوع وأستنشق ريح البخور و العطر الذي يُعبّق الأجواء، ويجعل النفس تتنفس الإيجابية... وبعد كل هذه الروحانيات والقرب الإلهي وسماع الوحي ينزل عليك، ومحراق الذنوب والمعاصي، وذاك البكاء وذاك الإنكسار والرهب وهذي السكينة التي استوطنت القلب، وكل هذا الإرهاق من السفر فقد أتيت من جنوب غرب الجزيرة العربيّة، وأنا تراني شيخا كبيراً احتلّه الشيب، هرمت، ويلازمني ألم في ركابي دائماً، فأحيانا تأتيني غصةُ ألم بغتة تعصر مفاصل ركبتيّ، إنها والله أصعب من ما كنت عليه من قبل، حين كنت شـــابّا بصحتي وقوتي، فهمت رسول الله ﷺ لما قال: وشبابك قبل هرمك، وبعد كل هذا رفعت كفي تلقا السما أقول داعيا الله: اللهم لا تنزل علي الملائكة ولكن دعني أسمعهم أو أرييهم، ثم مسحت يدي على وجهي ووضعتهما على صدري، يد على يد، وأنا مستلقيا... ثم أخذتني سنة وبعدها نمت...

...يَزِيــدْ...

وصلت الخلاء، فتحت صنبور المياه، أغسل أنفي، أدلّك منخريّ بالماء، أستنشق، أستنثر، غسلت كذاك يداي، وأخذت وقتي لأن الرعاف لم يتوقّف، وما إن توقفت عن الرعاف خرجت من الخلاء متوجها للدرس، وأنا أسير بتمهّل وأفكار سيئة حول الشيخ ءادم تراودني، انا أعلم أنه يحاول أن يجنّدنا ويرسلنا إلى اليمن أو إيران بسبيل أن نحارب في سبيل الله، يحاول أن يعفّن عقولنا، له أسلوب يأبى قلبي أن يتقبله، فلا عقل في منطقه ولا عواطف ولا روحانيات في أدبه، أما مظهره الذي يجعل عيني تتقيّأ، يرفع إزاره حتى يكاد الإزار لا يري حتى عند ركابه، يرفعه أعلى ركبتيه ويعرّي سيقانه المقزّزتين الممتلئتين بالشحم، فيهما شعر أسود غليظ خشن تلتوي كل شعرة على أختها، وبروز سمانة رجله العريضة مما يجعلك تشيح النظر إليه غصباً بسبب قباحتهما، أما شفاهه الممتلئتين المحمرتين، ووجه العبوس الداكن... أما لحيته المجعّدة، تفرّ منه فراراّ، لأنه امرؤ مقذارا، مغرور يستكبر استكبارا، يصطنع الهيبة وما له هبية أبداً، وما يزيده تصنعه إلا تخنّثا، تبتعد عنه كحين ترى من به تشوّه خلقيّ، تهرب منه وتتحاشاه... هكذا السجية البشرية، دائما ما تفرّ من القباحة والنتانة، أو لعلّ تلك سييتي وحدي، والله لست أتحدّث عن الشيخ ءادم هكذا لأني أبغضه أو أكرهه، لا، بل وأقنع نفسي أنه شيخي ومعلمي وأفديه بروحي .و.و.و.. لكن تأبى نفسي أن تعيش في عذاب النفاق والتظاهر والكذب، إن كرهت شخصا اجتنبته، لم عليّ أن أكنّ له الحبّ والمودة، لا بل عليّ أن أقنع الناس أنّي أحبّه...

===

...عِمْـــرَانْ...

فتحت أجفاني ألمح قدّامي الصورة شيئا فشيئا بعد كل ذالك التهجاع، وبصرت فرأيت ما رأيت، كنت متكئـا على صخرة كبيرة مستوية، أتكئ عليها بظهري، كانت تسطع ببريق أذهب على الأرض، كأنها الذهب، وأنا في غمرة الإنشراح والهناء، برائحة الياسمين تشذوا أريجها، أقلب

وجهي في السما أرى النجوم المنورات والكواكب، في سجى الليل، وكثّ ضباب ثقيل الأرجاء، بندىً وهدىً، وعمّ الصمت والسبات كل شيء، حدقت بعينيَّ كيْ أعي ءاأنا في خيال أم أضغاث أحلام، ثمّ أُثير غمام أسود وصار ينقط مطيرات صغيرات، وصار الودق يخرج من خلاله، وامتزج الغيث مع الأرض التي كان ترابها أحمر كالرمل، ومزّجت رائحة الياسمين برائحة الثرى، تراب تلمح فيه كذرّات من لؤلؤ، وفي جوف هذا الظلام وهذا الصمت وهذه الخلوة، إذ كنت وحدي، تلوت الآية التي أتت على لساني: الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع * يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير... في هذا الحين الذي أرى أحسب أنه وقت السحور، كأنه الغداة، وفي هذه الأجواء التي تشبه الأجواء الرمضانية، روح وريحان وقولا ثقيلا...

...صمت...

جاءت نفحة من ريح منسمة تزيد كل حين في اهتبابها، بغتة!! صارت ريح عاصف تنفح الأشجار وظلت تزيد من تصوّتها هجيجا وحفيفا، تنفح وجهي، وتشغب وتزعزع هطول المطر وتغيّر من مساره، وبدأت أرتجف من البرد واختلطت مشاعري خوفا وعصاما، برد وليل ومطر وشوق، إنها ليالي العشق... وصارت الأجواء أي أجواء، وذكريات أي ذكريات، !!بغتة!! سمعت صيحة من مكان بعيد ـ بعيدا من ذالك الأفق أو أبعد، كأنها صيحة صهال تجلجل الأرض كلها، حتى اهتزت حصاة حصاة، ثم بدأت ألمح شروقا من هاهنالك، نورا عظيما يبين مبينا، كأنه الربّ، يبرز من طرف مدّ البصر، يشرق متلألأً، ينسخ كل ظلام بضياء، أمل، يوحي إليّ يقول ينادي بصهيله يضفي على المسامع الشجاعة، ويعلا صوته حتى تحسب أنك ستُصمّ من شدة الجهار، وتنبّهت فجأة باختلاط هذا الجلجال والصهال مع ذاك الصوت الذي لمحته عند الكعبة ـ العود الذي يدندن يقول: يأيتها الروح تعالي، بمقام البيات، وشيئا فشيئا، شيئا فشيئا، برويد وصبر، حتى ظهر هذا المخلوق العظيم وسدّ الأفق كله حين أفرد

جناحيه، إنه تالله كائن جبّـــار، وبغتة صار يأتيني، حين انفلق الصبح هاهنا في البقعة التي أقف عندها، وأشرق هذا الجبار كشمس في ليالي الشتاء، كائن من نور سطّـــاع، وكاد بصري أن ينعمي من بهرة الضياء، حتى إذا ما فتحت عينيّ رأيته قدّامي، أتى بكل تجليه وجبروته وكبرياء، أتى وأتت معه روائح من عطر الإله، رهب وخور، ثم رفع عينيه إليّ يوحي يقول: اركب مّعي، وبسط جناحه الذي كان كقصر مشيد على مهاد الأرض، جفّ لعابي وانعقد لساني وجمدت حنجرتي، وظننت أني سأُعقّب مدبرا هاربا فارّا، لكن إلى أين؟! لقد عرفت شعورك يا موسى، وصارت أنفاسي تبدي حشرجتها من شدة الرهب، حين قضيتُ في نفسي أني سأهرب بعيداً من حيث لا يحتسب هذا الجبار، وعزمت أني سأفعل كذا، صاحت صيحة من ملإ السماء هزت الأرض كلها وزلزلتها، حنى رأيت السماء ترنّحت، صرخة كأنها صيحة النفخ في الصور، ثم أردف قولا بنبرة فيها من الجهر ما فيها وفيها من الهيبة ما فيها، بصوت من قرارة الحلق، يقول معاذلا: يـــا عمران لا تخف، ءامراً ناهياً كأنه الملك، لم أقدر على شيء، وقفت ساكنا وكل جسدي يقشعرّ ويرتجف من شدّة بأس هذا المخلوق الجبار، فما كان مني إلاّ أن أخضع وأطيع، ثم أوحي إليّ أن اركب معي تارة أخرى، أوحي إليّ من غير صوت ولا قول ولا كلمات ولا إماءة... ثم حذوت بضع خطوات وأنا أرتجف أمامه، وما إن وصلت إليه صرت أسمع نغمات من بعيد كأنهن غواني يقلن: أنا أحبك أنا... ثم رفعت كاحلي إليه بمهل كأيّ شيخ كبير يتمطّى ركبتيه، والغواني اللاتي يغنين يربين غناءهن وترنمهن شيئا فشيئا بنغم جميل يرسخ في الروح من وهلته الأولى، غوان كأنهن من بيروت مع تلحن أوتار المعازف، والأشجار تتمايل راقصة على أغنيتهنّ، وكل شيء تلمحه كأنه يتمايل يرقص عاشقا، كأنك في صالة الصوفيين، ركبت فوق ظهر المخلوق الكبير الجبار، ومن حولنا من كل مكان ترانيم لغوان يقلن بسجية عربية بيروتية: أنا أحبك أنا، كأنهن يودّعننا، وأنا من فوق هذا الجبار الشامخ

الزبرجدي الأصفر القبرصي ـ عظيم، جلال على تجلال، كالمآذن طولا، وهو يسطع نورا ولمعا وهيبة...

والمعازف تعزف حنينها والغوان... حتى إذا استويت على رحله صار يرفرف بجناحيه، وأنا مندهش لا أفقه شيئا، وصار يعلوْ من الأرض علوّا علوّا، ويهب ريحا عاصفة من برد قارص، حتى إذا علا الأرض بمقدار خطف خطفة كأنه الرعد، محلقا نحو السماء، كالرعد يرعد ترعيدا، وصارت نفحات الجوّ تنفحني على وجهي، والهواء البارد يخرق مقلي، وأسرع محلقا مارّا بين السحب والغمام، وأحيانا تبلل قُطيْرات الغيث ملابسي، وأنا أشعر بشعور ناهيك عن شعور، وصرت أحلق في العلالي يا ناس، وقلبي تملؤه ضحكات وبشاشات مكبوتة، وصرنا نخترق الكون طبقة طبقة، والسموات طبقة طبقة، وهو يصدر صوت صهيله الذي يجعلك تفتح فاهك كله وتضحك من عمق قلبك وأنادي بما أوتيت من قوة أضحك وأهزق من هذا الإطلال العظيم، سموات وكواكب عظماء ونجم وسدم وأقمار ومذنبات وشهب وآلاف من المعجزات... وأنا منبهر ومستبشر في قمة بهجتي...

حتى أتينا على قصر عظيم شاهق طوبه من لؤلؤ ومرايا وفي سقفه قباب من فضة، ما من موضع فيه إلا وفيه قبّة توحي بمتانة الأفئدة وحدادة الأهواء، وبروازه من قوارير نصلها زرقاء، بالحب مرصّع، فيه لمع ولمعتين وتلاميع، بابه عظيم كبير من حديد نحاسيّ لونه، تجري من تحت هذا القصر أنهار وسيل عيون، معشوشب الخضر والورود، ثم استوينا على أرض هذه...الجنة؟! وأترقّب أنا هذا عن صمت وعن كثب، وما إن وطئنا هذه الأرض التي ترابها من مسك، وعبقت هذه الجنة بريح الحانوت ـ مسك وعنبرـ وتلمح من بعيد سهول وأودية كلها مخضرّة وكلها حدائق ذات بهجة، ورد وخضر وأنهار وقصور وتصباح من أرقى التصباح العربيّ، !!فجأة!! ظهرن لنا من أمام القصر...حور عيـــن!! نساء مقصورات طولهنّ، بيضاوات البشرة ناعمات، ينعكس نور السماء على جلودهن، رقيقات لينات، كأنهن الياقوت والمرجان، ثدين هؤلآء،

وأشعارهن المنسدلة والمسبلة على أكتافهن المعرّاة، يرتدين فساتين حمراء، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، بخصورهن الفاتنات وقوامهن العربيّ، منهن بيض بشعر أسود طويل منسدل كالحرير مكحلة الحور بفساتين الزفاف، ومنهن الشقراوات ذواتي الأعين المزرقة، بشعر ذهبي طرفه ملولب بتسريحة أعجمية، بفستان أحمر فخم... أغضضت بصري وأشحت عنهنّ ما إن بدين لي، وغيرهن المئات، فاتنات حسناوات بنكهة المضاجعة العربية إن تضاجع، يحملن في كؤوسهن خمراً وسَكَراً، ينظرن إليّ يتهامسن بينهنّ، مهيّجات شهوتي، يضحكن بلطف ورحمة، وقفت أنظر أسفل قدميّ أتفرج على الأرض من الحيا أقول في نفسي: ما هذا المكان الذي أحضرتني إليه يأيها الذي اركب عليه، لكن هذه المرّة هناك شيء غريب، عادة حين أكون في هذه المواقف التي تجلب غضب الله، نساء بفساتين شفافة وقصيرة و.و.و... أكون حين أعصيه بقلب ثقيل يتغشّاه الهم والكرب، في كل شهوة يضيق الصدر وأصير في حالة اكتئــاب، تكره كل شيء حولك، لكن هذه المرة..لا، كلا، لم أشعر إلا بالسعة والنشوة، كان هناك شيء يقول: حلال..حلال...!!عجبا!! إنهن في آية الجمال... وللحظة قالت إحداهن بنبرة لينة ورقيقة وصوت الحب ينحب منها: ماذا تريدون؟

ـ نريد الحبيب، ردّ عليها الذي اركب عليه بنبرة رجل مغوار لا تفتنه النساء، بملامح جامدة

ـ قالت باستحياء: وهل لك شأن فيه؟

ـ لا فقط قولي له إن لك ضيفا من الدنيا أتاك زائراً، قالها وكأنه خائف من أن تنفعل عليه تلك المرأة

ـ سنراوده

وبعدها دخلن كلهن داخل القصر، بضحكات تعلواْ منهن وأُنوثة، ثم دخلت تلك المرأة...

...سكون...

ـ يا بخت أهل الجنة، قال الذي اركب عليه...

ـ كيف؟! سألته متعجبا مبهما...
ـ قبل خلقكم معشر البشر كنا نحن المقربون إلى الله، وحين خلقكم صرتم انت كذألك...
ـ سألته متعجباً: أنتم المقربون إلى الله دائما وأبدا، كيف نكون نحن معشر البشر أقرب؟!
ـ نحن معشر الملائكة لا نعصي الله ونفعل ما نؤمر... وكأنه يشكوْ
ـ فقاطعته: ونحن معشر البشر نعصي الله وقد نفعل ما نؤمر وأحيانا لا نفعل...ثم سألته: وماذا تقصد بقولك أنه نحن المقربون إلى الله؟
ـ بحدة وعلوّ قال: انظر إلى أنبياء الله الصالحين، كيف نتنزّل من السموات العلى إلى أرض الدنيا من أجلهم بأمر ربنا...

أنتم معشر البشر خُلِقتم لتعبدواْ الله وحده لا شريك له، أما نحن فقد خلقنا الله لنعبد الله ومنا من يكون عليكم كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون، ومنا من يظل يحرسكم طوال اليوم إذا حضرتم صلاة الصبح في جماعة، ومنا من يتوفاكم ومنا من يعذّبكم، ومنا من ينتظر ليلقاكم عند باب الجنة ليرحّب بكم، ومنا من هو منتظر من يوم خُلِق لينفخ في الصور، وكثير سُخِّر لخدمة الله بكم...
اعلم يا عمران أن الله إذا أحبّ عبداً فمنه، ولا يحبّ الله إلاّ من شا أن يحبه، فلا إنس ولا جان ولا ملَك ولا جماد ولا حيوان أحبّ إلى الله ممن لم يحُقّ القول عليه أن يحبه، ولو أكثرت من الطــاعة والعبادة، ولو أكثرت من الذكر، حب الله ليس مقياسه التعبّد يا عمران ولا الذكر...
ـ إذاً؟! سألته مستغربا...
ـ إنه كالهداية تماماً، وما تشاءون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة، فلا كثرة العبادة توهبك إياه ولا حتى كثرة الزهد، هو نصيب يصيب الله به من يشاء، لكن ادعه على أن يحبَّك...
...صمت...
...ارتجاج عقلي...

وبعدها لمحنا أحدهم يخرج من باب القصر، إذ سمعنا تصوتا على أنه يفتح، وهو كذألك، ثم همس الذي اركب عليه يقول: سنكمل لاحقا، بتخفّت على أن لا يسمعه صاحب القصر...

فصل

{2}

الْجرِيمَة

...عِـــمْران...

بغتة!! ما إن سمعنا صرير الباب العظيم يفتح، مصدراً بعض الرياح التي هبّت بقوة وبأريج مسك، أدبرت لأرى موقف الذي أركب عليه، لكنه مضى محلّقا في أعالي الأفق، وكانت الرياح التي هبّت منذ قليل منه وليس من الذي خرج، ولما خرج...ال...الحبيب، كما ذكره الذي اركب عليه، خرج وهو يبرز شيئا فشيئا، حتى خرج كلّيّا ثم اغلق دقّة الباب... خرج من أمامي رجل أي رجل، رجل ناهيك عن رجل، بهاء، وجمال، وحسن، وزين... وقفت مبهوتا لا أقوى على الحركة أو أن أبد أي ردة فعل، تغلبني ابتسامة من مبسم هذا الرجل الذي تغلب البشاشة طبعه وملامح وجهه، وصارت نواجذه البيضاء تدغدغ قلبي، فتنطلق مني ضحكة بأسلوب محترم وحيي، كان رجلا بهيّا، رجل ذو حسن وجمال في سيماه، ملامحه التي تنشر الرَّوْح، وعينه التي تراك بنظرة العاشق، تجعلك تتبسّم رغما عنك، خرج وخرجت معه المسرّات والبشاشات وكل شيء جميل، ...الله... تمعّنت في آلاء جماله، كان وسيما ليّن الملمح، يغطّي ناصيته البيضاء شعر منبسط أسود منسدل من عليه يلمع تلميعا، وتتدلّى من أمامه خصلات سود، هو من النوع الذي حين تراه تقول كأني رأيته من قبل، ءادميّ تعلوه حمرة في بشرته، بلحية مزيتة تكسر الأنوار عليها، وأرنبته التي تبرز، يجعلك تغدواْ في أيام الله، أيام الحبّ الأول، وينشر هذا الحبيب حقّاً بششا و فألاً وتبسّمات ويجعلك تشذواْ بالطـــاقة الإيجابية، شعره طويل ينبسط على كفيه، إنه لرجل رهيب وشريف وذو خُلُق عظيم تعرف هذا من صدره الرّحب الكريم، عريض المنكبين، قويّ في أصله وبنيته، أما عينيه السود الغائرتين وتلمح في حوره كأنها مكحله، وجبهته كانت مغرورقة بماء التقوى والمروءة، يشعّ وجهه نورا على نور، ترى في أحناكه الحياء والوفاء، وتستريح الأنفس لمّا تراه، واطمأننت اطمئنانا عجيبا... توقّفت ساه فاه في ألآء جماله وهو ينظر إليّ فيبتسم وأبتسم... لا أحرّك ساكنا ولا أهمس ببنت شفة، حتى غيّر

الموقف المحرج هو، إذ أومأ لي بيده أن تعال، ثم خُيّل إليّ أني سمعت ذاك العود مرّة أخرى، تلك الدندنة التي تدندن على مقام البيات وتقول: يـــأيتها الروح تعالي... إني عن الصبر لجزوع... تلفّتّ إليه، فأراه ينتظرني، فهرولته قليلا ثم صرت أحدوْ إليه، من باب الحسنة بالحسنة، حتى وصلت إليه، ثم مـّط إليّ يده فسلمت عليه وسلّم عليّ وحيّـاني بتحيّة: السلام عليك، بنبرة فيها العقل كثيراً ومن الفصاحة والبيان أكثر، وضمّ يده إلى عضدي، ثم حييته أنا بخير منها: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، يمينه بيميني مصافحين، وشماله على كتفي كأنه يضمّني إليه ويقرّبني عنده، قـال: أيها الحبيب... فقاطعته: !!لبّيك أي حبيب... ونحن نسير متصافحين شبه معانقين، والطاقة الإيجابية تفيض منا فيضا، وأشرق الأمل في ظلمات صدري إشراقا، أنس على أنس، وتسابيح الله تسبح حولنا، شعرت بما لم أشعر به من قبل، إنه إحساس غريب، قريب من ال... الحب؟! عشق؟! كلا، كلا، إنك شيخ عجوز، عشق ماذا وأنت في ءاخر عمرك، مشاعر عجاب، أحاسيس حماسية تقرع الباب، رجيف مباغت، ورانت خفقات قلبي، واحترّ دمي، واضطربت جوارحي، والتقوى تسيل من جنبيّ وجنبيه، صدق، ووفاء، وعطف، وإعراب، تلك الفرحة التي تأتيك عقبى الصبر، تلك هي، كأني تحت ظل آية سيجعل الله بعد عسر يسراً، ومع خبرتي في العيش والمعاش وخبرة معاشرة السنين ومرور الأيام والدهور، ومما تلقيت من صفعات الحياة، وكثرة زهدي، ولأني دائما ما أحرم نفسي من أن تفعل ما تشاء، قرّرت أن أمشي معه وأتبع قلبي وأرقص على ألحانه، أينما يأمرني أميل أميل، أترك التقاليد، أترك زهدك، اتبعه، دع نفسك كريشة ترفرف مع تيار الله...

...رِيـــمْز...

أرمق ساعتي فأراها الساعة 8:21م، فأغني أقول: الفاحشة الفـــاحشة، وأنا أنظر لوجه هذه الحقيرة قّدامي، لو تنظر إلى وجهها كيف يبدوْ وهي تنظر إليّ بخوف تحسبني تلبّسني الشيطان، أو أني سأغتصبها... الفـــاحشة الفاحشة... أكاد أموت عليها سخريا...

...مَـــارِيّة...

ينظر إليّ ريمز بنظرته الشريرة المنتقمة بإيحاءات شهوانية، بأسلوب يخلوْ من الإنسانية، كأنه حيوان، والله إنه امروْ لا يستحيي، بل يغني قائلا: الفاحشة الفاحشة، ما معنى أن تقول هذا الكلام وأنت تنظر إلى امرأة أمامك، أغاظني ذالك، لكن ما لبثت على هذا حتى جاءت نفسي إليّ تقول: لا بأس إنهم الرجال..

ـ وإن كانوْ رجالاً؟! رددت على قولها أسألها منكرة...

ـ فأردفت: أنت تعلمين أنه رجل، دعيه يصنع ما يشاء، ماذا يفعل هو؟! إنه يغني على حاله وحسب...

ـ هه، ان تقعد أمام امرأة وتصنع أفعالاً لا حشمة فيها، وتغني كأنك تغزّلها بل وتنطق بأقبح الكلمات وأبذءها، هل هذا صنيع ترضاه المرأة...

ـ مارية.. ما بك؟! يبدوْ أنك مرهقة من السفر، ومحتارة في حبّ ريمز... نعم أنت تحبينه في سرك... هه ...صحيح؟ بنبرة تخالطها الدهشة و الضحك، ثم أردفت قائلة: نعم والله إنك لتحبّينه، إذ كيف لشخص يغني على حاله يغيظك ويثير غضبك ببساطة، إنك مغرمة به، قالت ذالك بنبرة فيها مراودة...

...صمت...

وريمز يغني: الفاحشة الفاحشة...

غرقت في كلمات نفسي، هل حقّا أحبّه؟ هل أنا حقا أحبّ ريمز؟

...؟...

حسنٌ، لكن لن أحبّه حتى يحبّني هو، نعم هكذا المعاملة بالمثل، هل تراه يحبني يا ترى؟ كلا والله، لو كان يحبّني لما عاملني معاملة البغايا وينعتني بالزنا والفحش...
ـ يبدوا أنك تريدين تقليد العرب؟ قالت نفسي فأسكتتني بعد هذه المقولة، كلا إلاّ العرب والمسلمين، لا بأس أنا خنزيرة ريمز بل أرذل من ذالك، فإن أراد مني فإني متاحة له، إلاّ العرب والإسلام، فإنهم عدوّ لي...

...عِمْـــرَان...

رجل يبثّ في روحك الروح، قالت نفسي: أن تجالس من هو جميل الروح وبشوش الوجه يكفيك نعمة إلى يوم الدّين، كذألك قلت، ولكن تجاهلت قولها، وبوجهه الطلق قال لي: سأريك المكان ونتعرف على بعض حسنٌ؟ بنبرة فيها صدق وورع وبراء...
ـ حسنٌ
ـ سألني: إذا ما اسمك؟
ـ عمران...
ـ !! قاطعني يهجّي اسمي حرفا حرفا، ع، م، را،ن، كأنه يتذوّق كل حرف...
ولازلنا مصافحين، فلا أنا أزلت يدي ولا هو أزالها، كان هناك اكتمال ما لما تصافحنا، شعرت بأمر عجاب، كقطعة من صورة ناقصة فلما التأمت يده بيدي تكاملت الصورة، كانت بيننا مشاعر جمّة، لا أقول حبّ أو عشق، لكنه كتكوير اليل على النهار وتكوير النهار على اليل، كتضارب السحب فتقع في قلبينا الصواعق، كأنّنا بابين لا يفتحان إلاّ بمفتاح واحد، كان هذا الوله والشوق بيننا واضح كالحق في حقّه، خاصّة فيّ أنا، لكن كلانا أراد أن يتفادى هذا، لا أعلم... ما يهم أنه أخذ بيدي وقال في ابتسامات لا تفارق فاه، وبدا بيننا المودّة والتحابب أبداً: هلمّ أيها

العجوز، بنبرة فيها مزح وخفة دم، فضحكنا معا، كان سبب تضاحكنا هو المودّة التي بيننا أكثر من أنـّا ضحكنا على مزحته، ونحن نحذوا بخطوات عديدة، ويميني بيمينه، ولا أحد منـّا يريد أن ينهي المصافحة، قال: هلمّ أريك جنتي ونتعرف على بعضنا أكثر، بنبرة كلها ورع وإيمان، وبذا انحلّت كل العقد التي كانت بيننا في السيرة الأولى، وصرنا نبتسم مع بعض ونتهأهأ، وأنا أرسم وأنقش شكله ووجهه في ذاكرتي، وأراه على تبصرة وأتمعّن في تفاصيل خلقه الجميل، سبحان الله، وهو ينظر إليّ ولا أحسب إلاّ أنه يشعر بمثل ما أشعر به فلا نزيد إلاّ تبسم...

...الشَّيْخُ عَادَمْ...

ظلّت بضع دقائق ويؤذّن المؤذّن لصلاة العشاء...أنتظر في هذه المكتبة، أنتظر رسالة ريمز!!!

...يَزِيــدْ...

ها هي ذي المكتبة قدامي أنظر إليها وأسأل نفسي عن ما يفعله الشيخ عادم؟

ـ ربما ينوي أن يزني أو... قالت نفسي...

ـ أعوذ بالله من الرجيم، ماهذه الظنون المدبّجة، كلا ليس لهذه الدرجة، نعم أنا لا أحبه، لكن يا نفس عليك ألاّ تهوي في ظلمات الشرّ، ءاإذا أبغضت امرؤاً صرت تتمنين له الشرور، وتشوّهين له سمعته وتطعنين في شرفه، أعوذ بالله من الشيطان ومن شرّ نفسي، اللهم إني بريء مما يوسوسون...

ـ صه!!!

ـ ما؟ قلت لها...

ـ انظــر...هنا رفعت بصري ورأيت الشيخ ءادم يصلّي، فأسفت على حالي، وعتبت على نفسي، ءاهٍ يا للظنّ السيّء الذي بي، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك...
ـ ويحك يا يزيد: قلت لنفسي أعاذلها، يا ويلتى من الظنّ السيّء، وهبّت في صدري الشفقات والوبخ والخيبات، ءاهٍ عليك...
تقدمت إلى المكتبة وطرقت الباب مستأذنا من الشيخ وقلت: هل تسمح لي أن أدخل يا شيخي، ويبدواْ على صوتي الحزن والأسى، كان قد تمّ من صلاته وسلّم عن شماله، فتلفت إليّ وقال: ادخل بنيّ، بنبرة فيها غموض وغلظة، فدخلت وجلست بجانبه وقلت: شيخي؟.. كنت أنوي من أن أعتذر منه، فالبغض يثقل الإنسان، الإنسان لم يخلق للبغض، خُلِق لعبادة الله وخلق للحب، للحبّ فقط، لكنه قاطعني قائلاً: اسمعني يزيد، إنك طالب نبه وفطن وذو كياسة ومروءة، فزادتني كلماته حرجا على حرجي، فقلت في نفسي: سألبّه كيفما يريد، لكن هناك شيء في داخلي يقول: كذّاب منافق، لكني لم أستمع له، لا يلدغ المرء من الجحر مرتين يا نفسي، كان الشيخ ءادم هذه المرّة صادق وذو زهد، كان يبدواْ كالعبّاد الصوفيّين، خاشع ومظهره جليل، أردف قائلا: أنت عندي طالب مقدّر وذو مكانة عليّة، فلا تحسب أني حين أستجبر عليك أقصد بأني لا أحبّك، لا والله، أنت مكرّم عندي وأعتبرك كرفيق أكثر من أنك طالب لديّ... لم أستطع تمالك نفسي، أبكتني هذه الكلمات، فمنذ سنين كثيرة لم أسمع من أحد كلمات مثل هاته، لا من أمّي التي تطلّقت من أبي منذ كنت في التاسعة من عمري، طفلا صغيراً، ولم أسمعها من أبي الذي هو كالصخر، كانت معاملة أبي لأمي كأنه جنديّ، فظّ، غليظ، صحيح أنه ملتزم دينيّا ولا تفوته صلاة، وأنه يتلواْ القرءان أيضاً، لكنه كان يعتبرني بمتابة أبو لهب أو أحد بنيه، وأظن أنه يعتبر أمي كذاك أمّ جميل، كان شديداً عليّ، يعاملني أسوء المعاملات بل ويسابيني بأفحش الشتائم، تخيّل حينما يأتي الليل يقول لي: إنما أولادكم فتنة، ويشير إليّ بسبّابته ويزمّ فمه معبّساً مقطبّاً، كأني هنا عدوّ له، ويكمل الآية: والله عنده أجر عظيم، كان حالي

حين يتلوا علىّ هذه الآية كأني تجالسني الملائكة وتتنزّل عليّ السكينة وتتغشّاني الرحمة، فاءلان صار ينعتني بأوصاف تهدّ الجبال، يقول: يا ابن الزانية وأحيانا يقول أنا بريء منك قد أتتني أمك مفلقة، ويقول أشتاماً فيّ وفي أمي حتى الجبال تنهدّ منها وتخرّ، لم أكن لأتوجّع إن قيل هذا، لكن ما يؤذيني ويمزّق قلبي ونياطي هو أن هذا الكلام يصدر من أبي... أبي... ءاهٍ، ماذا أقول أو لمن أشكواْ، أتألم وأتألم وأحيانا أرعف من شدّة عصرة قلبي من الألم، وأحيانا أدوخ أو حتى تأتيني نوبة صرع، وأحتسب إلى ربّي فهو أبي وأمي وكل شيء أنتظر متى يفرجها عليّ، ما يهمّ...

...مَـــارِيَّة...

ولوهلة توقّف ريمز بغتة عندما كان يغني بصوته القبيح يقول: الفاحشة الفــاحشة وتوقف عن هذا الهرج حتى كاد أن يقوم ويرقص أيضاً لو لم يخرج هاتفه الذي أوقفه عن هذا، وصار يكتب فيه رسالة...

...رِيمْز...

أ، ر، س، ل، ه، أ، ل، ا، ن...
أرسله اعلان...
ثم ضغطتُّ إرسال...
تمّ الإرسال...

...مَـــارِيَّة...

رفع ريمز وجهه إليّ بخبث وحملق فيّ بعينيه الماكرتين وابتسم حتّى بانت نواجذه المصفرّة، شعرت بالرّعب، شعرت أني طفلة مختطفة ولست عميلة مخابرات خبيرة تعمل... صرت أقول ارجعون، ظننت أنه سيغتصبني، ثم قال بنبرة مخيفة غليظة ثقيلة، كالفحيح: تجهّزي هيّا...

...الشَّيْخُ عادَم...

رنّ هاتفي فجأة!!!

...يَزِيــدْ...

وبغتة! وأنا أستمع لكلمات شيخي التي أعادت لي الحياة، اهتزّ هاتفه من جيبه مصوّتا، كان صوت رسالة إلى الهاتف، فاستأذن مني الشيخ وكان يجلس أمامي مباشرة، نهض ودخل إلى جوف المكتبة ثم أخرج هاتفه ويبدوا أنه فتح الرسالة وقرأها، وبعد وهلة نظر إليّ نظرة مخبثة تملؤها الشرور والتباغيض، ويسترها بامتسامة تبين منها أنه لا ينوي خيراً، بدا عليه الجشع، أقفل هاتفه ووضعه في جيبه ثم قال وهو يخطو إليّ: اسمعني يا يزيد، ليس عندنا وقت كاف لأشرح لك، لكن قم تعال أريك هذا السرّ الذي لم أره أحداً من قبلك، فقمت ومشيت معه حتى استوقفني عند هذه البقعة المعتمة في جوف المكتبة، ثم قال: هنا تحت هذه المكتبة ممرّ طويل يوصل إلى ... قلت في نفسي: يبدوا أنه يتصنّع هذا الموقف لئن لا أفضحه عند الطلبة، فقد رءاني لما رأيته وهو يرفع بساطا ما...

ـ سأرسلك إليه، إنه عالم العلماء، سترى مؤلفات الكتب الأصلية، هنا صرت أنتبه له وأتدبّر قوله حرفاً حرفاً فقاطعته...

ـ اءلان؟

ـ نعم اعلان...

هنا تحمّست وصرت كلي له ءاذان صاغية...

ـ هنا ستجد المصادر، وأمهات أمهات الكتب، والمصاحف التي كتبها القراء العشر بأيديهم، وسترى كمّا هائلا من الذهول، أعرفك تحب العلم والمطالعة، ولعلي لن أوفيك حقّك، فسأرسلك إلى شيخ جليل وطلبة أكثر علما واجتهاد سأرسلك إلى المكتبة الثانية، وهناك سيعطونك تعليماتهم حول كيفية تدريسهم وكيف هي حلقتهم وهكذا...ثم نظر إليّ نظرة مودّع ولمحت بريقاً من شدة وجع لأنه سيرسلني إلى فصل ءاخر وشيخ ءاخر، هنا طرت من الفرحة، حدّثتني نفسي قائلة: ...لكن أوقفتها فوراً، لا تفسدي فرحتي، ثم جثا الشيخ ءادم على ركبتيه، وأمسك طرفة البساط من يده ورفعها، فانتشرت أتربة وغبار، فنفض ذالك التراب والدخان حتى برز من أرضيّة الأرض تحت البساط كأنه باب، كأنه منفذ، فنظر إليّ وقال: أغلق باب المكتبة بسرعة، فعجلت إليه وأغلقته حتى أظلم كل شيء، ففتح هاتفه وأشغل الضوء منه، فذهبت إليه وهو جاثٍ على ركبتيه، وبعدها أمسك بسلسلة من هذا المنفذ، وصار يجذبه إليه وبقوّة وساعدتّه على ذالك أيضاً، فنشدّ ونشدّ ونشدّ، حتى... شعرت بأنـّا قد فتحناه وتصوت المنفذ كزئير الأسد، فعلمت أنه قد فتح، ثمّ جذب حديدته للأعلى حتى ظهر ما فيه، كان منفذا كبئر عميق وقد صنعواْ له فتحة صغيرة مربعة الشكل ولحموها بحديد عظيم يكون لها بابا، خفت من ذاك المشهد، بئر أسفل السافلين يقبع مظلم مترب بتراب أغبر، معتم موحش، حتى ضاق صدري، ثم قام الشيخ ءادم مهرعا إلى إحدى الرفوف البالية في المكتبة والتقط مصباحا صغيراً ثم أتى به، علمت أني سأنزل في الحال، قلت في نفسي: هل سأنزل اعلان يا شيخ ءادم الى هذا الرعب المظلم، إنه وقت الشياطين، إنه بعد صلاة المغرب، وصرت أرتعش ولا أعلم لم شعرت أني سأموت، أرى الموت يلوّح لي من بعيد، رعب على رعب...

ـ الله معك بني: قال الشيخ ءادم

ـ قلت في نفسي: يا ليتك تؤجلها إلى الصبح يا شيخي
ـ وفقك الله: قال الشيخ ءادم، وما لبثت حتّى وجدتّ نفسي ءاحذٌ المصباح من يده وأودّعه وصرت أنحني لأنزل وبدأت أنزل من هذا السلم البالي، وضعت قدمي على أول درجة... ياويلي!!!

...رِيـــمْز...

ه، ل، أ، ر، س، ل، ت، ه؟
هل أرسلته؟
...إرسال...

...الشَّيْخُ ءَادَمْ...

أرسل ريمز إليّ رسالة أخرى، فأغلقت منفذ القبو بعدما نزل ثم فتحت الرسالــة ـ وكتب فيها، هل أرسلته؟
فأرسلت له وأنا أكتب على لوحة الهاتف بين هذه الأحرف، ن، ع، م، ل، ق، د، ف، ع، ل، ت، ك، م، ا، أ، م، ر، ت...
نعم لقد فعلت كما أمرت...
ثم... إرسال...

...يَزِيدْ...

أعتم الظلام تحت هذا المخنق أيَّ إعتام، من بعد ما أغلق الشيخ ءادم بابه، سواد على سواد، ورعب على إرعاب، وحدي أسفل دار مدمسة بالعدم، حتى لو أن المصباح الصغير معي يضيء لي، فإن الرعب

والوحدة مختلفان، ولكن ارتاح قلبي من وجفه وفزعه الداكنين لما سمعت تأذّنا لصلاة العشاء، كان الصوت هنا مختلف، كان مرتجّا وله جلال أكثر، وهنا وأنا موطؤ أرض هذا المكان المخلي الدامس المظلم، أقلب بصري في الأجواء أتبعه بضوء المصباح الصغير، وأنا أستمع لمخارج حروف المؤذن كيف تصدى هاهنا غريبا...

...مَـــارِيَّة...

أذّن مؤذّن بغتة كتلك المرّة التي فاتت، فأفزعني، وأنا أنظر نصب عينيّ ريمز الذي لم أره منه هاته الملامح الشيطانية من قبل، ومع رعبي مع ريمز الذي لا أعرف ما ينويه ولست أعلم منه إلاّ قليلا، ومع فزعة هذا المؤذّن الذي يعرّي صوته صدري لأرى نفسي بتبصرة أكثر، وامتزجت مشاعري بغتة، كدر وخوف ورحمة وصدق، شعرت لوهلة أني أريد حضن أحدهم، أريد أمي، أبي، أحدا ما يطبطب عليّ يشعرني بالأمان والإطمئنان، أريد عناقا يشعرني بالإنتماء والدفء، صرت كسيرة من داخلي فجأة، والله الذي لست به مؤمنة صرت أريد ربّــاً يؤويني، وأنا أنظر من الحائط الزجاجيّ ألمح سماء مكة وهي مزيّنة بهذه المصابيح الراقية، ليل ونجوم وسحب وحنين، وأنا لأول مرة تهجّج أشواقي كذا، صرت مشتاقة لـ..... لحبيب يؤنسني، ما هذه الحياة التي أعيشها، فتاة باعت بكارتها بأرخص الثمن، ما عساي أقول، هكذا القدر، وجدتّ نفسي عميلة في منظمة كلها الشر والفسق ومالا ترضاه الأنفس، صرت باغية لأكثر من مأتي رجل، صرت في عيشة مخزية، لا أراها الله لأحد، صرت بلا كرامة بلا شرف، بلا قدر، بلا أبوين ، كأني دابة تأكل كما تأكل الأنعام والنار مثوى لي، فقدتّ أبي منذ كنت في السادس عشرة عمراً، وعهدت أمي أنها باغية وفاجرة في الحيّ الذي نسكن فيه، وفي إحدى الليالي الباردة، لما تسامرنا أنا وأبي على مشاهدة فيلم من أفلام الرعب، رجعت أمي إلى المنزل ومعطفها مبلل يقطر منه الماء، عادت من مكان العهر

والكبائر، ويبدوا أنها لم تجد سيارة أجرة كيْ توصلها فاضطرت إلى أن تأتي مشياً، أتت وهي مرهقة تكاد أن تخرّ على الأرض مسقطة، رمت معطفها على الأريكة، ودخلت، لم يعر أبي لها أي اهتمام، بل وغمز لي أن لا تحدّثيها، وبعد حين ما هو بطويل، !! اقتحمونا رجلين من عصابة ما فحطمواْ الباب تحطيما ودخلواْ بهمج وعنت، دخلواْ كأنهم سقر لا تبقي ولا تذر، أطلق أحدهم رصاصة فأتت على كتف أبي فوقع جثيا جنب الأريكة، وقامت أمي من مضجعها فزعة، أتت إلى الصالة التي اقتحمونا فيها أنا وأبي، وهنا كانت صدمتي، دخلت ولما رأتهما ابتسمت وابتسم أحدهم لها، ما هذا؟! منذ قليل كنتم تهدّدون وتسفكون، مالكم اءلان صرتم ذوي عواطف وحبّ، وأنا أنظر إلى هذا المشهد الذي نقشت صدمته في قلبي حتى اليوم، أرتعش كأي طفلة في السادس عشرة من عمرها، ثم أطلقواْ النار على والدي الذي توفى من حينه، وأخذت أمي تتمايل لهم، وأخذوها معهم، وذهبواْ... ولما ذهبواْ حلّ الصمت... ما أصنع؟ كنت في حيرة لم أهتد، ما ذا أفعل؟ ءاه، ياليتني لم أولد، خررت على ركبتيّ محطمة ميئسة أنا ومعي جثة أبي، وصوت الساعة على الحائط يقول: تك... تك... تك... فرمقت الساعة كانت 3:54م، فأخذت ما استطعت من ملابس ومشارب وزاد، وخرجت من البيت تاركة عاراً عظيما، وخيانة فظيعة رأيتها بأم أبصاري، خرجت أركض في جوف اليل في الشارع، أقول: أين المفرّ، أبكي والدمع عليّ منهمر، وتبللت كلي بالمطر الشديد ليلتها، وتارة أرى سكارى يحاولون اختطافي، فأهرب منهم، وتارة أرى غيلانا، عجباً، أركض لا حول لي ولا قوة، في قعر الرعب وقعر الظلام ليلتها، ما تسمع فيها إلاّ عواء وصرخات، بغتة!! ظهرواْ حولي رجال قبح بمعاطف الفقراء والمساكين، كريهي الريح، كأنهم نافخواْ الكير، كانواْ أربعة أو خمسة، وثبواْ عليّ ومزّقواْ ثوبي وصنعواْ ما صنعواْ، إنّ ما صنعواْ كيد كافر، فعلواْ فعلتهم علنا في وسط الشارع، ومن يومها ما رأيت الحسن أبداً، من يومها أنا ....

واءلان قد تعودتّ على ذالك، لكن أحيانا قد تأتيك صفعة تذكّرك بما أنت، فإمــا أن تستقيم خيراً وتتغيّر 180 درجة وإما أن تمسي أو تصبح أشدّ يأسا وإذلالاً، ما يهم اءلان أتتني هذه الصفعة، وصار حالي كما حالة بعد الفراق، ءاهات وقلبي المحترق ينتظر شيئا ما بل ويتوّق إليه، ولما ركّزت على المؤذّن أتت مسامعي على أشهد أن لا إله إلاّ الله، قالت نفسي: إن هذا الحبيب هو الــ... فأجبتها: يبدوْ أني سأعطي الوردة الحمراء لــ... لــ... الله!!!

شهد قلبي من غير حول منه ولا قوة وهو ناظر إلى هذه الأيات نحو السماء، وآيات، ليل، ومصابيح، وأنوار مضيئة، ونسائم هبّت من قلبي، قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، ولا حبيب سواه، لا ريمز ولا من هم قبله، ما هذا كأني كنت حيوانة أعتبر ما بين فخذيّ هو الحب، لكن كلاّ، لقد كنت على خطأ، اليوم جاءتني ذكرى وءاية للمتوسّمين، اليوم حبيبي هو الله الذي ءامنت به بنوْ العرب، اليوم ءامنت بالعزيز الوهاب، اليوم يوم عجاب...

...عِمْــرَان...

بشاشات على بشاشات، وابتسامات تعلوْ علوّاً، ومشاعر الصبابة تفجرت فينا كالعيون تفجّر ماءً، أنس، وهوى، وألف، وهناء، وكل الكلمات الطيبة، ونن نسير بممر مخضرّ بين أزهار من ياسمين ونسرين وورود حمُر، وأخريات صفراوات تسرّ الناظرين، وريح طيّب نستنشقه، وطيب على طيب، نعمة وخيرات شتى، جنت الجنة دان، فيها خيرات حسان، ذات أفنان، فيها عينان تجريان، وعينان نضّاختان، وفواكه وزرع لذيذ، فيها عنب وبرتقال، فيها نهر من عسل مصفّى، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، وكل حولي مخضرّ ومزخرف، كأنها خلقت من مشاعرنا، وأنا في حضرة الحبيب أسير وإياه بين روائح عطرة وأساور

من ذهب ارتداها هو، نسير وهو مصافح لي وأنا مصافح له، نسير وإيلافنا بلغ العلا، ووصفي لهذا لن يفي، ما ترى من شيء هاهنا إلاّ وتراه يتمايل ويرقص على لحن ما يبثّ الشوق والتآلف يقول: الحبّ لله وفي الله، كل ورقة وكل ندى عليها وكل حصاة وكل زهرة وكل ذرّة وكل مسك وحتى الروائح، تنطق تصف رحمات الله، تنفّس قلبي وصدري الصّعداء، انشراح وفرج وفرح لا يوصف، انطلق لساني يشدواْ في سرّه أشعاراً ونثراً يصف فيها حبّ الله وحبّ هذا الرجل في الله، طمأنينة وسكينة وكل حدب يدندن بإْسم الله، حتى رأيت ما رأيت من أمامي، ألمح فأرى كرسيّاً من أحجار مرصّعة كأنه عرش، تبصّرة أكثر فكانت أرجوحة كبيرة عريضة من ذهب منقوش بالأحجار إنها نوع من ألماس ما، ترى هذا فتقف مبهوتاً لا تدري ولا تفقه، ولكن مع أنس هذا الرجل ومن كثرة ما سريرته صافية نقيّة، عكست عليّ بريقا يقول: الرحمن الرحيم، مشينا كم مشينا حتى وصلناها، ولما وصلنا إلى هذه الأرجوحة العظيمة وأوراق الخريف والياسمين تنثر من فوقنا، فوقف كلانا، فكرّمني أخي الحبيب على أن أصعد أنا الأول، كأني أبيه وقد برّه حقّاً، عاملني بسنة النبيّ ﷺ، كان هذا الرجل لعلى خلق عظيم، متواضع، لطف، عطف، صادق، جميل، وكلّ ما فيه خيرٌ اذكره، أراني ما معنى كلمة مودّة بينكم وسكنا إلى بعضنا البعض، وتفكّرت في هذه الأوصاف والمشاعر؟ ماهي؟ لم أفهمها حقّاً؟! قال موحياً إليّ بيده: أن تفضّل، فأمسكته من كتفه وأقعدتّه معي، ثم صارت الأرجوحة تأرجحنا أماماً وخلفاً أماماً وخلفاً، وهبوب ريح التوادّ يهبّ هباً، واتقاد الحب في الله اتّقد، وإلى اعلان ولا زالت أيماننا متصافحتين، ثم سوّى وجهه إليّ ينظر إليّ ليقول:... فبرزت ءايات الله، بهتُّ من آية خلق الله، يـا لجمالك!!، يا ربي سبحانك تخلق ما تشاء!! ترى فيه جمالاً وحسناً، وأنا مندهش غارق في إبداع الله حتى نسيت نفسي، كنت فاغراً فاهي بلا قصد مني ولم أدر، ودهشت حتى استوت حواجبي لأعلى وصارت جبيني كلها مخططة بتجاعيد كصفحات الكتب، سبحان الله!! كان ذا ملامح... الله أكبر أبيض كالبيض المكنون،

بأعينه السود تبثّ الأشواق بثّا بثّاً، وأرى في طيات أحناكه نوراً من نور الإله، سبحان الله!! أكاد أبكي من رؤيتي لهذا الطيب المفحفح في حبّه لي، أرتاح حينما أرى عينيه الصادقتين اللتان تقولان: أحبك يا عمران لله وحده، ثم لم يستطع أن يتمالك نفسه من الضّحك لما تيقّن أني أراه بهذا الإنبهار وبهذه المشاعر، فهأهأ حتى طلعت أسنانه المفلجة البيضاء كأنها الدّرر والألماس، وما إن ضحك حتى ضحكت معه، كانت ضحكته عبارة عن ابتسامة فقط، لكنها تأخذ روحك إلى عالم من الفكه والضحك وتملؤك فرحة وسروراً، سبحان الله!! ما شاء الله، جئت لأدعواْ سرّاً داخل قلبي أقول: اللهم... جفت الكلمات، تكسّرت الأوصاف، أعجمت الألسن، شتّتت الألباب، يا بهراً!!. ثم أردف يقول بكل حياء وحياة: سأقول لك يا صاحبي ويــا جليس روحي، لكن أولا عليك أن تصبر عليّ، فلا تصنع كما صنع موسى عليه السلام مع الخضر، ولا تخف فلا أدجّل عليك كما يفعل بعض الصوفيون فيستحضرون الجنّ، لا إنما أعلمك مما علمني الله رشداً...

ـ لبيك، أجبته...

ـ مــن... وهو يرفع بناظره إلى العلالي، إلى السموات السبع: من شيء زوجين اثنين، وكلّ زوجين أمينين وصادقين وءآمنين من الله عز وجلّ، واعلم يا صاحبي أن لكل روح زوج، كخلقنا معشر بني ءادم من طين ثم جعل ربّنا العظيم نسلنا من ماء مهين، ثم خَلَقَنَا الذكر والأنثى، فهذا الهيكل الصلصالي الذي تراه أمامك، هذه الكومة من الطين اللازب، هي إمّـا ذكراً وإما أنثى، فإن كانت هذه الصورة ذكراً فإن زوجها الأنثى، وإن كانت هذه الصورة أنثى فإن زوجها الذّكر، انظر... انظر لكلّ شيء، سترى أنه زوجين اثنين خلقاً وأمراً، انظر لهذا الشعر كله... ثمّ أسدل شعره إلى ترقوته ليريني: انظر لهذا الشعر كله، كلّه من خصلات، وكلّ خصلة فيه إما ذكراً وإما أنثى... ويبدواْ أنه بانت على ملامحي الدهوش والذهالة، كل شعر يتكون من خصلات وكل خصلة إما تكون ذكراً وإما تكون أنثى؟! حتى أردف قائلاً: نعم...

ـ سألته مسرعاً: وكيف يتزوجون؟

ـ فأجاب: !!هيه!! احتشم، أتودّ أن يكشف فلان على زجتك أو عليك... هذه عورات، ولكلّ خلق شهادة...
ـ أخي؟ سألته بنبرة شجيّة، كنت أريد أن أسأله عن اسمه وعن إياه، لأنّ هذه الكلمات لا ينطقها إلاّ من شاء الله أن ينطقها...
ـ نعم؟ أجابني بأسلوب رقيق ومعطوف ينتظر سؤالي له...
ـ ما اسمك؟ لأنك لست ببعيد...
ـ لن أخبرك، لكن بما أنك قد ذكرت الأسماء، دعني أعطيك معلومة، دائماً سمّواْ أولادك بمعان صالحة، لأن كل نفس على ما سميّت تتربّى، أعطيك مثالا؟
ـ طبعاً...
ـ أنظر إلى جلال الدين الرّومي هي شخصية معروفة في الدين الإسلامي، لكن انظر كما اسمه كما هو، كذألك لاحظ كلّ امرأة سميّت هيام كيف تعيش في أوهام العشق، انظر إلى التي سماها أبوها هناء، أنظر كيف تجيء له بالفرح والسرور، انظر إلى عمر كيف عمّر في أرض الله، وهكذا... هذا في الدنيا، أما اعلان هنا فأنا أنت وأنت أنا... وصارت الإبتسامات ترفرف حولنا ذهاباً وإياباً، ليس يمزح، بل لأنه صدق...
ـ ناديته سائلا وأثر الشوق والقهقهة لازال عليّ: أيها الحبيب؟
ـ نعم؟
أردفت له قائلاً: أحبك، أحبك لله وحده لا شريك له، مخلصا موجّها وجهي إليه، ثم شعرت ببعض الحياء، شيخ هرم يقول لرجل في الثلاثين من عمره هاته الكلمات... لكنه فكّ كل العقد وطرح كلّ التقاليد المتحجّرة أرضاً حيث قال بصوت تغلبه ضحكة حيّية ومتخلّقة بالقرءان: اَعلمُ هذا... فغلبنا الضحك فضحكنا مــعاً، مفرهدين...

...رَيمْز...

أرسل إليّ ءادم رسالة قال:

نعم لقد فعلت كما أمرت...
ممتاز، عليّ أن أحدّث البوطي اءلان...

...نِكَــاتْ...

...والألم يعصر جانبيّ والمفاصل، ويلذع جلودي من مكل مكان، ويعضّني عضّاً، وأنا متصلّبة في مكاني لا أقدر أن أحرّك إلاّ قليلا، لما قمت مستعينة بالله والوجع ينتش وينهشني كالضباع، قمت من مقامي ولم أهتد لأيّ رأيٍ إلاّ أن أعتصم بالله، قمت وخرجت من هذا المطبخ بعسر وأنا أتشنج في مشيتي كالتي يتخبطها الشيطان من المسّ، سرت حتى وصلت إلى إحدى الغرف في الفندق التي يسمح للعاملين وحدهم بالدخول إليها، ماهي إلاّ غرفة صغيرة مسطرة برفوف من كل مكان ليضعون فيها بضاعتهم، دخلت بشقّ الأنفس وبيأس الروح، وأنا ألمح كل ما حولي يحوم ويدور، دوار، صداع، كأني بين يقظة وغفلة، ووجع في رأسي يرنّ رنـّاً، لم أهتد إلاّ أن أحدّث هـاشم!!!

...رِيــمْزْ...

مارية!!

...مَــارِيَّة...

: نعم! أجبته وأنا في نصف حديثي مع الـ...اللـ... مع الله، كنت ساهية عنه كلّياً

...رِيــمْزْ...

مالِ هذه الحيوانة تتعالى هكذا، إنها تغيظني!! إلى حدّ العصا...

...مَـــارِيَّة...

تقول في قرارة نفسها سرّاً: يبدوا أنه قد تطيّر وأغظته بأفعالي هذه، قلت ذالك خفية في نفسي وأنا أهزق، لكم هو جميل أن ترين ريمز يحترق داخله غضباً وهو يحاول ألاّ يبدي أيّ دخان تطلع منه، لكن رائحة الوقود أرجت في كل مكان، حسنُ، ها إن ملامح التشيطن بدأت تبين على صفحات وجهه، فأجبته قبل أن ينفلق غضباً وكبراً، : نعم ماذا؟

...رِيــمْزْ...

أيتها الحقيرة، قلت في نفسي، : تريدين إذا أن تلعبي وتلهي؟! فقلت لها أردّ الصّاع صاعين، أنتَ تعرف أكره ما شيء في العيش هو أن تتجاهلك المرأة، لقد أغاظتني أيّ تغيّظ، قلت: حسنٌ، نعلم أنك عاهرة بل وأنك أوسخ من الدوابّ التي عرفت، و.و.و...، فجهزي نفسيّتك لأنك ستكونين دابّة لأحدهم الليلة!!!

...مَـــارِيَّة...

!! أيها الدنيء، هل لك ولو مثقال ذرة من حياء أو إنسانية!! إحتشم ولو قليلاً، إنه من ذاك النوع، الذي إذا ضاق عليه الجواب أساء الأدب،

لقد أسمعني هذا الخسيس أوسخ الكلم، وأفحش الأقوال، وأبذأ المعاني، لقد قال ما لا تقوله الألسن، إنه تجرّأ على أن يتعدّى على ذكر عرضي حتّـى!! صحيح أني زنيت وأني أصنف من البغايا، لكن والله ليس لأني أبغي هذا الفحش، أو لأني أسعى لهذا السوء العظيم، بل لأن الأقدار والزمن رمونني في هذا النفق مع هؤلاء الأوغاد، فيعتدون عليّ بالقوة وبالغصب فيصير ما يصير، لكن ليشهد الذي كان يذكره المؤذّن حين أذّن، أني أتعذّب من داخلي على سيئاتي، وليشهد أني لا أصرّ عليها إلاّ أحيانا، حين أيئس من كل شيء، ءاه... وأنا أنظر لريمز نظرة خلت من أيّ تعبير...

...رِيمْزْ...

...إي، ضحك قلبي وهدأ لمّا برد، فقلت في نفسي: هكذا تعادلت الكفّة، قهقه قهقه...

...مَارِيـَّة...

: اليوم رأيتك أيها الوغد الأنانيَ، كشفت طبعك الذي زيّنت حناياه بالشرَ والبغض والبهيمية، تبّاً لك أيها الخوان الأثيم، في نفسي... الحمد لله الذي جعل لنا نفوساً نتحدّث معها، تخيَّل أننا لا نستطيع أن نتحدّث حتّى في وساوسنا...

...عِـمْرَانْ...

ولما نزلنا على الضحكات والتبسّم وكل شيء جميل، لملم الحبيب صاحبي أنفاسه لئن ينطق بالحقّ، فجمعت نبهي وجمعت البابي كيْ أعي كلّ جملة ينطقها...

ـ يا صاحبي يا عمران، إني قد قلت لك أنّ من كلّ شيء زوجين اثنين ، فماء الوجه والسجية العزيزة لها زوج كذألك، والسمع زوجه الطرش، والبصر زوجه العمى، والخير زوجه الشرّ، والحياة زوجها الموت، والجنة والنار، والصبح والليل، وهكذا وإن تعدّواْ نعمة الله لن تحصوها، لا تخلط فأنا لا أقول لك شيء ومعكوسه، لا، واعلم أن هذه الأزواج ليست لها معنى إن لم تعاشرها...

...صمت...

وصرت أستوضح هذا الكلام وأستبينه في عقلي رويداً رويداً، ثم قال:

ـ ألست تريد صاحباً وأخاً في الله يعينك في الدنيا، يكن لك عوناً وأنيساً توده ويودّك؟ ! اندهشت! أنى له أن يعرف هذا؟! واستحيت، لأني أستحيي حين تذكر هذه السيرة، فقلت له:

ـ أنّى لك عرفت ما في قلبي، أوحيٌ بعد النبوّة؟!

هأهأ قليلاً وتبسّم ابتسامته التي تجعلك تبتسم معه ثم قال: لا، لا وحيٌ بعد النبوّة، ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيـئين... اءلان أجبني أليس صحيح ما نبأتك به منذ قليل؟

ـ أوطأت رأسي من الحياء وأجبته: بلى والله...

ـ قال وفي صوته نبرة عظة: أتحسب يا عمران أنّ لكل صاحب من طين؟

!!! لم أفهم أي شيء بعد!!!

ثم نظر قبالتي فعرف أني لم أعِ ما قال، فقال:

ـ نحن من طين؟ مسائلاً مزمّاً شفتيه يضمّهما...

ـ نعم...

ـ ومن طين لازب؟

ـ نعم، أجبته أخرى...

ـ ومن صلصال كالفخّار؟

ـ نعم...
ـ هل عاشرتَ يوماً طيناً تحدّثه أوْ يُحدّثك؟ أو هل عاشرت يوما فاخورة فصرت تحترق من أنها هجرتك أو اشتهيتها؟ أحببت في حياتك خزفة؟
...
ـ أبهتني بقوله المقنع، فأجبته والحياء بين أنفاسي: لا لم أحبّ طينا ولا فخّاراً...
ـ ألم تخلق زوجتك من طين؟ هل تزوّجت يا عمران؟
ـ نعم تزوّجت امرأة وقد توفّيت من قبل...
ـ رحمها الله...
وأردف قائلاً: ألم تخلق زوجتك من طين؟ !عجباً! لقد ظننت أنه سيحزن أو سيبدي أيّةَ أسىً أو... لكن كلا، بل وأردف بكلّ سرور!! والله لتصرّفه ذا زادني حبّه عنده، إنه ليس من النوع الذي ينافقك، إنه الحبيب يا جماعة إنه الحبيب... ما يهمّ، أردف يسائلني: ألم تخلق زوجتك من طين؟
ـ بلى، أجبته؟؟؟
ـ ألست في إحدى الليالي ألمت لفراقها شوقا وحبّــاً؟
ـ ... إي والله...
ـ أتبكي على طين من صلصال كالفخّار؟
... قلت في نفسي: !! يا إلهي !! ما هذا الحرج، حين تكون منطقي...
ـ أجبته: هل تقصد... تلعثمت كلماتي وانعقد لسانه...
ـ يـــا عمران... إنها ليست الطين ولا هو اللّزوب ولا الفواخير، إنها النفخة يا عمران إنها النـــفخة...
ـ تلوت أسائله: ثم سويّته ونفخت فيه من روحي؟
ـ نعم يا صاحبي، إنها هي... ثمّ جعل لكم السّمع والأبصار والأفئدة، نحن لا نحبّ تلك الهيئة الترابيّة مهما تكن تلك العيون زرقا أو خضراء، ولا نهوى تلك الجلود البيضاء أو النّاعمة، ولا نعشق فيها إلاّ تلك الروح التي خلق الله منها زوجين اثنين ككلّ شيء، وللعلم، ما في الروح يجسّد

الهيئة، فكن أنت الهيئة التي تريدها، ما يهمّ، اعلم أنّ المرء قد يحبّ روح أخيه أكثر من زوجته روحا وهيئة، الله خلق كلّ شيء فقدّره تقديراً، وقدّر لهذه الأرواح إذا التقتا رضيتا وانسجمتا كلّ الانسجام وسعدتــا دائماً وأبداً وعاشتا حبّا وهوى وتقوى وهدى، ولوّنتا الدهر بألوان الحياة التي نفخها الله في هذا الهيكل، ثمّ أشار إلى صدره وأردف يقول: نعم إذا شاء الله وقدّر، فحتماً سوف تجد ما شاء الله وقدّر، رضيت بما شاء أم لم ترتضي... انظر لتلك النخلة ها هنالك، فلمحتها وهي نخلة صنوان طويلة ومخضرّة وبها رطب كثير، أراها وصار يقول: حين ءاكل منها أسمعها حزينة وتبثُّ شكواها، فأسألها وما يحزنك؟ فتقول: إنّما أشكواْ بثّي وحزنيَ إلى الله، ولا أحسب من سلوكها إلاّ أنها اشتاقت لروحٍ ما في الدّنيــا... ثمّ توقّف لبرهة وقال: عمران؟

ـ لبّيك أيْ حبيب، يا جليس أفئدتي...

سألني وليته لم يسأل: هل انتظرت في محياك شيئاً أو أمراً؟ قل الحقّ؟

ـ نعم والله... ثمّ أوطأت رأسي وصرت أبوح له بكلّ ما ستره قلبي من قبل أربعين عاماً أو يزيدون، : تراني من لما كنت في العشرين من عمري وأنا ما يصبّرني على عدم الانتحار إلاّ انتظاري هذا...

ـ وما تنتظر؟ سألني أخرى...

ـ بحثُ له وكأني أنطق من قلبي وليس من لساني: أنتظر صاحباً يفهمني، فقط شخص ما يفهمني...

ـ لا تريد حبّا أو هوى؟ أصدقِ القول يا عمران؟ قالها وهو يكاد يهأْهــئْ...

ـ أجبته وأنا أحقّ القول: أوَ يُفهَمُ المرء من غيرِ الحبّ، أليس الحبّ لهو خير وسائل المفاهمة؟ وكما قال ابن الرومي: إنه يذيب كل العقد ويمحها...

ـ إي والله، قالها وهو الموعوظ اءلان...

...سكون...

... ويبدواْ أنّ الأجواء تكاد تحرّ من ذكرنا للشوق ولناره، فغيّرت اتجاه موضوع الحديث وبنبرة أهدهد فيها الأجواء... :هذا وأنا أنتظر عبداً صالحاً لا يتمذهب لأيّ مذهباً، ولا يخشى أحداً إلاّ الله، يبتغي الله بملّة إبراهيم حنيفاً، أعطيه الأمانة التي لها سنين وسنين وأنا أحاذر عليها وأحفظها، واءلان كما ترى فقد صرت شيخاً كبيراً مهرّم، ولا أطوِّل أملاً في حياتي بعد، أنا أنتظر روحاً ما...

ـ عمران؟ جاء الحبيب ليسألني تارة أخرى... لكني قاطعته

ـ أيا الحبيب، دعني أصارحك ... إني كنت معذّباً كل تلك السنوات التي هيهات أن تعود أو يعود شبابها، ليس لأن هنالك من يجلدني بالسوط، أو امروٌ يقتِّلُني تقتيلا، لا، كلاّ، بل لأنّ الروح رانت صبابتها كتلك النخلة... كنت لا أعلم ما الذي أودّه بالتحديد، فقط أدعواْ في نفسي أقول في الخفاء: اللهم... وتتلعثم ألفاظي وكلّ حروفي، وأصير كالأبكم، فيطلب القلب وينطق هو يقول: فقط أخاً... صاحباً من عبادك الصالحين يحفظ لي الأمانة التي لديّ، يحبّني فيك وأحبّه فيك، مخلصين لك الدّين، نتعاون على البرّ والتقوى، لكن تأتي نفسي تكذّبني تقول: شيخ كبير فناه الدهر يطلب من الله صاحباً، بل ويحبّه لله، يا للمضحكة، ولأن نفسي لا يخفى عليها وسواسي تقول: يا عمران، إنك مشتاق لودّ مثل وُدّ زوجتك وتحنُّ إلى حنانها وأنسها، صحيح كلامها صحيح، لكن والله ما هذا أبغي، ولأن حاجتي هذه تعتبر عاراً في هذه البيئة الدنيوية، فأصدّق نفسي وأقنع بإحباطها، وفي كلّ سجدة أسجدها بالليل أو بالنهار أدعواْ الله بذا... واعلم !! لكنه قاطعني!!

ـ إني أعلم ما تريد، وفهمتك فهم اليقين... عبداً تقيّاً جميلاً علماً فطناً ورعاً ويكون من عباد الرحمن الذين يمشون في الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالواْ سلاماً، فإني والله لأحبك لله كما تعذّبت في الدّنيا، وإني والله أهواك فيه كما يهوى الحاء الباء، وانتظرك هاهنا بين هذا الملإِ في جوىً كما كنت تنظرني، ولكم تمنّيت أن تأتيني فنصلِّ لله معاً، لكن ما ذنبي ولدت من قبلك ، وقدّر الله أن روحي وروحك هي الزوجين

الإثنين... اسمعني عمران، أعلم أن صحيفتك وأمانتك بها حلٌّ وجواب لتلك الفتنة... صحيح؟

ـ إي والله!!

ـ أبشر... سأنبّئك أن شخصا سيأتيك فاعطه إياها، واعلمْ أن الحياة ليست الدنيا فقط، أو أن الحبّ فيها فقط، لا تصغّر آمالك، إنما هي مسألة كن فيكون، إنما العيش عيش اءلاخرة، إن ما ينتظرك في الملإ الأعلى هنا عظيم وخير، فاثبت وأنا الذي سيستقبلك حين تتوفّى لهنا، ائتِ فلم يعد لي صبراً، ائتِ لأريك المكان فإنك لم ترى منه شيئا... وأنذرك بداهية ستصير لك فاثبت ولا تتجحجح، أحبك لله، واعلم أني محمد رسول الله!! وأبشّرك بالجنّة...

!!!

ـ قلت له وقد اشتعلت عجباً: رسول الله؟! يا حبيبي يا رسول الله وجئت لأعانقه... لكن...

... صمت...

... سكون...

... ظلماء، اختفى كل ما حولي كلّ شيء مسودّ...

ـ قم يا عبد الله، الصلاة الصلاة... جاء رجل يوقظني للصلاة، علمت هذا لمّا أفقت ووعيت أني كنت بمنام... فقلت له وأنا في مقلي الدمع يكاد يفيض: لو جعلتني أعانق رسول الله فقط... استغرب الرجل، رسول الله؟! قال يسألني، إي رسول الله، وأنا في قمة السعادة وغلبني التبسّم، عليك أفضل الصلاة والسلام يا حبيب الله ويا حبيبي، لم أحسبك بهاذا الجمال وهذا الخُلُق العظيم... هأهأ، هأهأْ، اللهم صلّ وسلم على حبيبي محمد تسليماً كثيراً... وقمت وأنا ألمح أني في الحرم وأشمّ عطره الشذي، عود الكعبة، ولمحت ناساً كثر، قمت على تبسّم وسرور...

ـ الصلاة ستحين بعد قليل، فقلت أوقظك لتتوضّأْ، قال الرجل الذي أيقظني...

ـ خيرٌ ما فعلت... ولو أنك صبرت قليلاً... ثوان فقط، كنت لأعانق الرسول ﷺ... يا الله...

...رِيـمْزْ...

التقطتّ الهاتف وفتخت المراسلات، ثم صرت أكتب للبوطي، ل، ق، د، ب، ع، ث، ه، ء، ا، د، م، ا، ء، ا، ل، ن...
لقد بعثه ءادم اءلان...
إرســـال...

... مَارِيَّـــة...

لقد أخرج ريمز هاتفه وصار يكتب ما يكتب فيه...

...رِيـــمْزْ...

برهة وما مضت ثوان حتى أرسل البوطي رسالة قال: تمّ...
ممتاز، قلت في نفسي...

...نِكَـــاتْ...

أخذت هاتفي وأرسلت لهاشم رسالة صوتيّة قلت فيها بشقّ الأنفس بنبرة كأني أسكرت: أغثني يا هاشم، إنهم كثر لا طاقة لي عليهم وحدي، أرجوا أن تأتي، قلتها وأنا أنظر للسقف، ربّ انصرني...

...يَزِيــدْ...

أمشي في ظلمات الأرض قعراً، وحذو نعالي في مسامعيّ يقع، أسير خطوة خطوة ولا أسمع إلاّ صوت أنفاسي، أنفاس امرئ قد دخل في قلبه الخوف، وصرت أتوهّم أنّ هذا النفق المظلم مملوء بالجنّ، مؤخراً صرت أخشى هذه السيرة كثيراً، مع أني في الثامنة عشر من عمري أي رجل، ما يهم صرت أسير وكلّ كلّي يرتعش، وفي قلبي وصدري رعب وخوف لا يعلمه سوى الله، أسير في جوف الأرض والجو مدمس بالسواد والتلييل، في غيابات الخوف والوعر، ذكرت ربّي وصرت أتلواْ: وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير* أطمئن بها نفسي، ثم تذكّرت أني لم أقض صلاة المغرب وهاذي العشاء قد فاتتني، أقول في نفسي وأنا أحسب أنّ عفريتا ما يعلم سرّي ونجواي: ما إن أصل سأصلي ما فاتني، أمشي وحدي في الظلام المخيف، يا ربّ لا أقدر أن أتظاهر بالشجاعة بعد، اللهم إني أخاف فأخرجني فأرجوك أن تخرجني من هذا الظلام ومن هذه الأرض الميّتة، اللهم ارض عني وسامحني يا لله، وأمشي وأمشي ثم أمشي، وكأني يُخيّل لي أنّ شيطاناً أو أحداً ما يتبعني من ورائي، فأتلواْ في قرارة نفسي: الله لا إله إلاّ هو... رعب على رعب ثم خوف يزداد وعجز وجزع وإكراه، ومعركة حامية في داخلي بين قول يقول: إني خائف وءاخر ينكر ذالك، أسير ومصباح اليد الصغير هذا لا يزيدك إلاّ ترعاباً، أحياناً أقول سأرجع لكن أقول لنفسي: ماذا إن لم يكن الشيخ ءادم في المكتبة؟! من ذا الذي سيفتح لي..

وعندما تخطّيت تلك الممرات العريضة وسرت مسافات ليست بقصيرة وكلما أتقدّم أقول ها هو ذا المخرج، لكن لا شيء سوى الليل ورائحة البلى و الغبار والخوف، وأيضاً صرت أشمّ رائحة الجــانّ، وأحاديثهم التي في كلّ برهة أسمع همهمات من مكان مجهول... ولبرهة سمعت حسيس شخص ما هو ببعيد، استأنست لذالك، لكن سرعان ما عاد

الخوف والذعر، ما ذا إن كان وحشا أو جان، ويْ، ويْ، وصرت أرتعش أكثر من ذي قبل، واشتعلت حرارة بجسدي فصرت أتصبب عرقاً، وقلبي كالذبيحة حين ذبحها، بلغت الروح الحلقوم، أشعر أني سأموت، هل هذا الحسيس وهذا الصوت من إنس أم من جنّ؟ يا ويلتى فقد سمعت صوته سمعا يقيناً!!! يا الله...

... الشَّيْخُ ءادَمْ...

إعطِ لي ما أردتّ، كتبت لريمز هذه الرسالة، فأرسل لي صورتها من الخلف التي أشعلت شهوتي، ثم أرسل رسالة وكتب فيها:

ـ ما رأيك؟

ـ أرسلت له: هذا هو نوعي المفضّل الذي يجعلني دبّاً...

ـ نعم إفحش بها كما تشاء...

أرسلت له صورة الوجه الذي يعبّر عن الإشتهاء، فأرسل لي:

ـ قهقه قهقه قهقه

خلصت من محادثة ريمز ورجعت إلى صورتها أتأملها وأتأمّل تفاصيلها، ءاه...

...رِيــمْزْ...

ـ هل صوّرتني توّاً؟! قالت الحقيرة تسائلني...

فأجبتها: ماذا أيتها الباغية؟! كأني جاهل ولم أصنع شيئاً، حين تتظاهر بالجهل أمام النساء يعتبرنك كذا، فلا يأبين، فقط اجعلها هي الأعلى وكن أنت دونها سترى... ثم خرجت، بخٍ تظن نفسها حقّا ذات مقام ومنزلة...

...مَـــارِيَّة...

كنت أبدّل ملابسي حين خيِّل إليّ أن ريمز صوّرني من ورائي وأنا عارية إلاّ قليلا...

...يَزِيـــدْ...

!!! بغتة!!! وتحت كل ذا الظلام، وبقعر ذي الصخور، بهذا النفق المسودّ، وأنا يملؤني الخوف واليأس معاً، سمعت جلجلة أفزعتني حين عرفت أنّ الكائن الذي معي هنا في هذا النفق الخناق، قد وثب، هل تراه رجلاً أم وحشا، لعله جانّ، يا ويلي!! فمكثت أدبّ دبّاً، وقد أطفأت المصباح، ماذا إن كان الآتي شرّ، أو لعله شيخ المكتبة هذه، فإني من حين لحين أدوس أوراقاً وأغلفة من جلود الماعز، صرت أدبُّ وأرفع أقدامي وأخطوا بكل هدوء وريث كيْ لا أتصوّت فيسمعني من هنا!! ضاق صدري، تشنجت أعضائي، رعب وظلام وصوت أحدهم بدأ يبرز شيئاً فشيئاً، ولما أطفأت ضيَّ المصباح تالله صرت لا أرى ولا أبصر إلاّ قليلاً فأمدّ يدي للأمام كي لا أرتطم بشيء ما، وما أخنق هذا المكان... فجأة!! ومع الظلام الذي غشّى كلّ شيء والسواد الذي أعمى الأبصار... يبدوا أني قد وصلت لحدّ هذا النفق، كأني محاصر بين جدران من تراب، ثم لمحت صوت أنفاس أحدهم، فجئت لأشعل المصباح لأني لم أهتد ءاأنا في حبس أم أنه قبري، وما إن أشغلت المصباح!!!

...

ظهر لي كغول بغتة!! وصرخ في وجهي بصوت مرعب مجلجل، كان رجلاً ضخماً به لحية عربية، فلمّا أفزعني وتصلّبت في مكاني خوفاً وخوراً لم أقدر على الوقوف، وقبل أن أقع قبضني من قميصي من قُبُل، ثم قبض قبضته ووكزني بوجهي حتى خررت مبطحاً على الأرض مذلولاً، بطش بي بطش الجبّارين، وذهب عقلي يتلاشى شيئا فشيئاً...

...رِيــمْزْ...

أرسل البوطي إليّ رسالة ففتحتها، كان يقول فيها: أنا في الطريق... ممتــاز...

...مَــــارِيَّة...

أرمق ساعتي بعدما ارتديتها فكانت الساعة 9:54م، خاطبت ريمز قلت له: ومتى العملية؟

الغرفة...1385...

... مَــــارِيَّة...

قال ريمز: اذهبي وائتِ بالولد إليّ، وقفت مستغربة لم أدرَ عن ما يتحدّث؟! رمى هاتفه على السرير، وأخذ مفتاحاً ما على الأريكة، ثم أومأ لي أن اخرجي وقد خرجنا من الغرفة وأغلقنا الباب، ثم اتجهنا إلى الغرفة رقم 1385 وأومأ أنْ أذهب من المصعد لألقى أحدهم، ثمّ فتح هو باب الغرفة رقم 1385 ودخل هنالك، وفتحت أنا المصعد وكان خالياً من أيِّ إنسي فدخلت هاهنا به...

...عِمْـــرَانْ...

ولمّا أتممنا صلاة العشاء وقد خشعنا وبكينا لربّنا كثيراً ودعوناه، فقد صلّى الإمام في الركعة الأولى بقل يــا عبادي الذين أسرفواْ على أنفسهم لا تقنطواْ من رحمة الله، والثانية بوما قدرواْ الله حقّ قدره، فقد تفطّرت القلوب وصدّعت الأحجار التي في الصدور وجرى الدمع على أحناكنا جريا، وزلزل الحرم كله بصوت الإمام، وها أنا أغدواْ لبرج فيرمونت، سأذهب لغرفتي لأنام قليلا، بعد كلّ هذا التعبّد والزهد ولكيْ أقوم بالليل فأصلي قيام الليل، ورائحة العود تنفح الأنفاس من كلّ مكان...الله...

...مَارِيَّـــة...

نزلت فالتقيت بنادل المطعم الذي التقيته حين أعطاني الشفرة، نعم هو ببنيته الضخمة وملامحه العربية، كان يحمل معه كيساً كبيراً،!! كأنه... كأنه يلف به إنساناً، كأن بداخل هذا الكيس شخصاً، تلفّتّ في المكان أرى حولي فرمقت لافتة فوق باب غرفة تقابلني فكان رقم هذه الغرفة 2، ثم علمت أنّــا في الطابق الأول، فدخلنا هرعين نحو مصعد ما لئن لا يرانا أحد العمّال فيكشفواْ أمرنا أو يثبّطونا حين يرون الذي معي فيقعدون عليه يلومون، حذر على حذر، بغتة!! بعدما أغلقنا المصعد وصرنا ننتظر أن يرفعنا إلى الطابق 66 لكن لا، لاحظنا أنه لا يلج ولا يصّعّد، بل بقي هاهنا لا يتحرّك، حدّق فيّ الضخم، هذا الإمعة بنظرات مقطّبة وعبوسا بائس، ثم قال: ما يحدث؟ لقد أشعرني أني لا أعرف شيئا، بليدة ليس أفلح في شيء، أومأت له أن لا أدري...انعقد لساني لما رأى مظهره المفزع وهو متغضّب، ضغطتّ زر المصعد مرّة أخرى فلم يصر شيء!! أقول في نفسي: هل كشفت أمرنا تلك المشؤومة وعطّلت المصاعد؟! ... فخرج الضخم نافراً بهجن وهو يحمل ذاك الشخص الملفوف داخل الكيس، وصار هاتفه يرنّ...

...رِيــمْز...

...جارٍ إجراء المكالمة...

...سكون وأنا أنتظر لئن يردّ عليّ البوطي... أقول في نفسي: لم يأتواْ بعد...

ـ المصاعد لا تعمل!! ردّ عليّ البوطي وقال ذاك من غير تسليمات...

ـ لا بأس فقد توقّعت هذا، ائت به من غرفتك...

ـ أنى نصل إليك؟!

ـ ائتِ ائتِ...

... أقفل الخطّ...

...

...مَـــارِيَّة...

أقفل الخطّ، وهو يعجّل في سيره وقد بدا القلق عليه، يتجّه نحو الداخل، وأنا أتبع هذين الضّالَّيْن، أبشع ما في العيش أن ترغمك الحياة على أن تعايش قوماً أنت لست ترضى عنهم، تؤنس ذا وتصبر على ذا وهم بأرذل السجايا يهيمون، بل إن لم تفعل صوابهم الذي هو الباطل والضلال، تكون شرمداً، أن تتعايش مع خنزير بروثه وكراهته ونتانته بل وأن تمرغد نفسك معه في بوله وتأكل معه، وأنت لا حول لك ولا قوّة... ما يهمّ أغلق هذا الضخم هاتفه وصار يصنع كما أمره ريمز أن يصنع، وأنا كالجرذة أميل معهم أينما يميلون...

...نِكَـــاتْ...

بعد تفكير طويل ظلّ شؤمه عليّ تظليلاً، وبعد حيرة أخبطتني طويلاً، ومع ألم ما ألمّ بي قليلاً، وبعد لحظة كئيبة من الألآم والعجز، لملمت شتاتي واهتديت لأن أذهب إلى غرفتهما بنفسي فإن صار ما صار أصبر على ما كتب الله لي، وأن أوقّفهم عن ما كانوأ يعملون، !! إتصال من هاشم على فجاءة!! التقطتّ هاتفي لأردّ عليه...

...مَارِيَّـــــة...

دخلنا الغرفة التي قال ريمز لما أن ندخلها، الغرفة رقم 12، ثم قال الضخم لريمز عبر الهاتف باتصال: لقد دخلنا، بنبرة ينتظر فيها ردّ ريمز لئن يدلّه على طرقة يسلكها نجيّاً، ثم قال له ريمز: أرسل للذين معك من الندل أن يأتوك بثلاجة وضعه فيها ثم ائتوأ مخلصين...
خرج الضخم من الغرفة وتركني مع هذا المجهول الملفوف في الكيس الأزرق هذا!!!

...يَزِيــــدْ...

لا حياة لمن تنادي أيّها القارئ، إنه ليس في وعيه...

...عِمْــــرَان...

دخلتُ بيميني للبرج فسلمت على العاملين هنالك، : الله أكبر قلت في نفسي، الحمد لله الذي أعزّ الإسلام، والله إن السياحة هنا أمتع عندي من أبراج بلاد الأعاجم وأفضل عندي من رؤية حدائقهم وأبنيتهم، الحمد لله، دخلت فلا تسمع في البرج إلاّ همسا وبعض الكلام الخافت المتمتم من

أناسيّ قلّة، أقلب بصري في إبداع هندسة البرج وتفاصيله الراقية وأثاثه الثمين، وأنا أحذوا ذاهباً إلى داري، وكشيخ تقدّم عمره وقضى على شبابه الكبر، أسير رويداً رويداً، أحدّث نفسي قائلا: ما صنعت حين شبابك، أيوه هيهات أن يرجع الشباب...

...مَــــارِيَّة...

ومضت بضع دقائق وثوان وأنا قاعدة هاهنا أنتظر الرجل أن يأتي...

...

...

!!فجأة!! دخل الرجل بفزعة وهمج ثم أدخل من وراءه ثلاجة طويلة عريضة بيضاء بها بعض الصدأ، ومن تحت الثلاجة إطار من حديد ملحومة فيه عجلات صغيرة، وقد ثُبّتت الثلاجة بهذا الإطار، أخذ الرجل الضخم تلك الجثّة التي لا أدري أهي جثّة أم شخص حيّ، أخذها بعنت وفتح باب الثلاجة بالعرض وأدخل الكيس الأزرق بها، وخرجنا من الغرفة مسرعين مهرعين، هو من أمامي يسيِّر الثلاجة ويسوقها وأنا من وراءه مباشرة، بعد ما أغلقت باب الغرفة، بلا صوت أو ضجيج، بحذر طامً، ونحن نحبّ العاجلة بل وصرنا نهرول، وحين نلقى أحد المعتمرين أو المعتمرات نبطّئ ونتظاهر بأنّــا مسلمون، وصرنا حتـــى دخلنا مصعداً فلا يأبى إلاّ ألاّ يعمل، ثم ءاخر فلا يعمل، ثم ءاخر كذينك لا يعمل، حتى توجهنا من الدّرج، لكن ما أعاننا على هذا هو أنّ الرجل الذي معي كان قويّا ومتيناً فحمل الثلاجة وصرنا نركب الدرج درجة درجة، خطوة خطوة، حتى لمحت أنا في الطابق التاسع عشرة، يا للهول!! مازال واحد وأربعون طابق، وصدفة فتحت مصعداً وكان شغّالاً، تمتمت للضخم الذي معي وقلت له: هيّا، فدخلنا في المصعد ثم ضغطتُّ إلى الطابق الــ 66، وأخيراً قد تنفّسنا الصعداؤ، كنت أشعر بالإمتنان لأحدهم، تخيّل أنّــا

سنصير إلى الطابق الـ 66 بأرجلنا ونحن بلغت طاقتنا الأذلّين، لا طاقة لنا في واحد وأربعين طابقاً وكثير من الدرج، كنت أريد شكر أحد ما، لكن ليس هذا الوقت المناسب، فتح المصعد أبوابه وصرنا نبحث عن الغرفة التي تحمل رقم 1385، كانت تقابل غرفتنا أنا وريمز، فقرعت الباب ثم قال ريمز بصوته الخشن وغلاظته المعتادة وقسوته، حتّى تذكّرت بصوته شكله: تفضّل، ثم فتحت الباب للضخم على أن يدخل قبلي فدخل ثم دخلتُ وأغلقت الباب...

...نكَـــاتْ...

ـ أهلا نكات، بنبرة فيها حذر وأنه بعجلة من أمره ثم أردف على قوله يقول: إني قد وصلت البرج فأيّ الغرف عليّ أن أطئ...

ـ يا مرحباً بك، قلت له بقلبيَ الآسي: ائت إلى غرفة العاملين الرابعة...

ـ ءاأنتِ بخير؟ قال يسألني بخشية...

ـ نعم، نعم... إنه لم يمسسني سوء، لكن عليك أن تسرع...

...

...عِمْـــــرَانْ...

وقفت قُدّام مصعد ثم ضغطتّ على زرّ فيه ففتح أبوبه، بغتة لمحت من خلفي رجلاً كان يركض إلى ءاخر الزقّة، كأنه أشغله أمر هميم، هكذا أحسبه، ما يهم دخلت المصعد...

...مَــارِيَّة...

قام ريمز من السرير وقال لي بلكنة إذا تكلّم بها فنفّذ وانفصل الكلام، لا يتكلّم بهذه الجدّية والقسوة إلاّ لأمر جلل، فإذا قال فسمعا وطاعة، قال وأنا ألمح أنه قد علّق في أعلى السقف سلسلة عريضة طولها تكاد تبلغ تحت الثّريّة، قال: إرجعي إلى الغرفة فإن عملك هناك... !!!هيه!!! قلت في نفسي، بدا أمره صدمة عليّ، ولكن ليس عليّ سوى أن أنفّذ، ثم خرجت ونفسي تتبغّض عليه أيّ تبغاض، ماذا عليّ لا إكراه، وتألم قلبي قليلا لأنه أصدر مشاعراً ككلّ أنثى، أن تعملي ليلاً ونهاراً وضحىً وعشيّة ثم لا تلقين من الذي تعملين لأجله غير الجحود والغرور، خرجت...

...عِمْـــرَانْ...

الحمد لله على سكينة البال وراحته، وصار المصعد يصّعّد...

...رِيـمْزْ...

ـ أخرجه، قلت للبوطي، فأخرجه من ذي الثلاجة وألقاه على السرير، تلفّتُّ فرأيت كعبتهم من هذه الزاوية، لا أعلم لمَ كأنها هدّدتني، ثم تلفتّ في شغلي، كان قد لفّه البوطي بأكياس زرقاء لونها، فأزحت عن هذا الولد هذه الأكياس ثم رماها البوطي حيث ما رماها، وتأملت في هذا الشَّابّ الصغير، كان جميلاً ترى في عينيه الصدق والبراء، إنه لم يشبع في حياته بعد، لمَ يموت وهو لازال صغيراً في سنّ الشباب، دعه يا ربّهُ يعيش أكثر إن كنتَ تستطيع أن تمنعه منّي، تبّا لك، وتفلت على وجهه بلعابي الذي يمتزج بالتبغ ورائحة فمي الكريهة، كنت قد علّقت في السقف قبل أن يأتيا البوطي والحقيرة، سلسلة من حديد غليظ، وعقدتُّ

في طرفها فصارت كالمشنقة، بلى اليوم سنرى ربكم الذي يُسَيِّر الأقدار وهو يقدّر الآجال والأعمار، أم نحن الذين نقتل من نشاء في أيّ عملية شئناها، ما يهم أخذتّ السافل الذي يبدواْ بملامح المتديّن، لا بأس عليك أيها السافل، ستموت شهيداً فكل دينكم اعلان هو من تأليفنا حين حرّفنا ما شاء ربكم أي يُحرّف، وصرتم تتبعون فكرنا الذي يقول لا إله ولكنكم تزيدون عليه إلاّ الله فقط، صار نديّنكم قولاً فقط، أما أعمالكم فلا، أنتم جنودنا، ألم تر كيف نُجندكم فإن لم تجنّدواْ في سبيل الكفر جعلناكم تتصارعون على اختلافٍ ما نحن صنعناه لأبداء الفتنة والبغضاء بينكم، ألم تر بسبب فكرنا صرتم تقتلون أنفسكم وتسفكون دماء بعضكم البعض، بل وجعلنا هذا حلّ في دينكم، فإن لم ننجح في هذا نجعلكم تقترفون ما لا يرضاه ربكم من ءاثام وسيئات وذنوب عن طريق (الشبكة العنكبوتية) وأنت أدرى، فإن لم ننجح نجعلك كالأطفال نضع لكم ملهيات وبرامج كي تلتهون، فإن لم ننجح وكنتم عباداً لربكم مخلصين كما أمركم لا تتمذهبون ولا تُكفّرون ولا تعصون وتتعاملون كما أمر قرءانكم نترككم، لكن إن حاولتم أن تصلحواْ الذين معكم فهنا نتدخّل من حيث لا تعرفون، اعلم أن بدايتنا بدأت من ظهور دينكم وصرنا نزداد ونزداد، وحين أنتم تفرّقتم وصرتم شيّعاً نحن تحاببنا وترابطنا واتحدنا، وحين أنتم استضعفتم خاصة العرب، استقوينا، استقوينا لحدّ لا يصدّقه قلبك ولا يتخيّله، فصرنا نحكمكم من حيث لا تحتسبون، وحرّف علماء الملاحدة من دينكم أكثره، بل وهم مهتمّون في تحريفه وتزويره أكثر من إبادتكم، وأنتم ما خلّيتم سبيلاً إلاّ وقد وقعتم فيه، منا عملاء هم شيوخ لديكم وثقات لاتُرَدّ كلمتهم، وأدخلنا في عقلكم الباطن فكرة... بالطبع لن أفشها، لكن ألم تلاحظ وأنت تقرأ كلماتي هذه، كيف يميل قلبك إلى مذهب ما، يقول إنه هو إنه هو... أنظر ألم تصبحواْ دوابّ، فقط أطعِمْها واسقها واعلفها، نحن لسنا الشياطين كما تقولون أنتم، نحن أعداء دينكم، كنتم واحداً لكن فرّقناكم إلى... أهل الكتاب، ولمّا نزل الإسلام كانت فرصة أخرى لنا على تفرقتكم، الإسلام ومنه...

المالكية...
الشافعية...
الأحناف...
الحنابلة...
السلفية...
الوهابية...
الشيعة...
الإخوان...
الإباضية...
الصوفية...
الحوثيون...
الزيديون...
وأناس لا يعلمون شيئاً ولا يفقهون، وهؤلاء أكثر الجموع وغيرهم الكثير...
ما يهم، أخذت هذا الذليل وعلّقت رقبته في العقدة التي عقدتها في السلسلة وأعانني البوطي على ذالك، علقناه ووقّفْناه على كرسيّ ثم عدلت السلسلة على رقبته بل أشد قليلا، نعم هكذا، لكم أحبّ القتل والتعذيب، أحب رؤية الألم والوجع والدموع والظلم، هذا يشعرني بالشهوة أكثر من مضاجعة حقيرة ما، أمرت البوطي أن يأتيني بدلو به ماء، كي أوقظ هذا الذليل، وأتى به، فلما أتى به قبضته منه ثم فرّغت عليه الماء بغتة!!، فصحا بشهقة وخوف، وصار يتلفّت يمينا وشمالاً ويتحسس السلسلة التي أحطتّها على عنقه، لمحني ولمح البوطي وما إن جاء ليصرخ ضربت الكرسيّ بقدمي، فانخفض وصار ينأى ويضرب برجليه الهواء، ويتأرجح من الألم والسلسلة تخضخضه من الوجع، يأتي ليصرخ لكن لا يستطيع، يشدّ بيديه السلسلة من فوقه عسى أن يخفّف عنه سكرات الأم والعذاب، وصار وجهه يسودّ، وعيونه تجحظ، خُضْخِضَ ثم أرعش قدميه بل وأومأ أن نساعده، كلا، سنكون عليك

ضدّاً، أعداءً لُدّاً، أراه وأنا أستمتع بالنشوة التي اعتلتني، وفجأة أخرج الشابّ كفكفة بيضاء من فمه، نعم احتضار ثم موت، أنزلته من السلسلة على الأرض، ثم طلبت من البوطي أن يعطني سكين السلخ الكبير!!!

...مَـــارِيَّة...

دخلت إلى الغرفة محترقة الفؤاد أتمتم مسابية ريمز، أغلقت الباب من خلفي ثم رميت الخمار على المكتب، وخلعت جلبابي ثم رميته على السرير، وكل كلي محترقة من أفعال ريمز، تالله إنه أغاظني كثيراً، تبّاً له، وصرت أخلع سترتي...

...عِمْــرَانْ...

أترقب أعداد المصعد وهو يصّعّد...

46

47

48...

...

...رِيـــمْزْ...

أخذتّ المُديّ من بين يدي البوطي وقبضته بكفي، كان ذو رأس ضخم، وهو حاد أي تحديد، منقوش في حديدته وشم يرمز لامرأة باكية، أمرت البوطي أن يطفئ مصابيح الغرفة كلها، ففعل، يا للروعة اعلان أنا أتلذذ، أمسكت ذاك الميت الذي صارت تؤرجحه السلسلة يميناً وشمالاً، يتباطؤ ثقيلاً، رفعت جسمي إليه إذ صعدتُّ على حافة السرير، واستويت عليه،

قبضتّه من عنقه بأظفاري تحت هذه العتمة المرهبة، في هذا الصمت الموحش، والبوطي ينطق ولا يوشوش، وبهذا المظهر المتجارم مع هاته الجثة التي أمست بدنة لا حياة فيها وهي تنظر إلى البوطي بمقلتين مشخصتين كأنه يتوعده بالإنتقام والظهور له مرة أخرى، برزت مقلتي هذا الميت حتى صارت أجفانه منكمشة فوق عينيه بمنظر مقزز، محمرة إذ قلبت جلدتها الداخلية، فبرزت والأخرى التوت داخلها فكان المظهر بين الرعب والقرف، ولسانه الذي صار بمقدار شبرين قدام وجهه يتدلّى، يقطر اللعاب والكفكفة البيضاء على الأرض وتمتزج بلحيته قليلاً، رمقت البوطي فبانت عليه نظرات الخوف وهو ينظر إليه بعينين محملقتين، وريقه الذي علق بحلقومه من رعب ما يرى، ولما قبضت عنق هذا الحقير المنتن بأظفاري، صرت أخبش وأخضُّ جلد عنقه بظفريّ، أمرّ اصبعي الوسطى والسبابة يمين حلقومه ثم أشدّ الخنصر والبنصر تحتهما والإبهام عن شمال مريئه، ثم صارت تسيل الدماء على أصابعي سيلا يسيراً، وتتعلّق بضع جلود خفيفة في أظفاري، وأنا مقبض على مريء الجثة والسلسلة، حتى ... ثقبت حلقومه!!!

...مَــــارِيَّة...

وأنـــا أبدّل ملابسي وأفور عضباً على ريمز وليس لي قوة ولا حول، قلت بغضب وتتباب: أنا الحقيرة التي سمعتك وأطعتك أيها الخائن، وأنا موجهة بصري وجسدي قبيل الجدار الزجاجي ألمع النجوم وألمح سماء الليل الصافية... بغتة!! سمعت صوت أحدهم يقول من خلفي: يكفي أنّي أعشقك، بنبرة أرعن مخفوت، إذ أرعبني... !! يا إلهي أنا عارية إلاّ قليلا، فأخذت جلبابي من السرير وسترت نفسي، وما سترت من جسدي إلاّ يسيراً، تلفّتّ إلى الوراء لأراه بأنفاس متشنجة ودقات قلب مضطربة من الفزعة، فلمحت رجلاً!! كان قد ظهر من الخلاء وها هو قد خرج منه

وأغلق بابه ثم صار يتباطئ في خطواته متجهاً إلى باب الغرفة وهو يوحي إليّ أن لا تخافي ولا تحزني، كان رجلا ذو لحية بها من الشيب ما بها، مجعّدة، يرتدي عباءة بيضاء تصل أسفل ركبتيه، أيقنت أنه رجل دين، أما سيقانه مقبوحة بشعره الغليظ، وسمانة قدمه تعلوه قرح منقطة وشعر أسود، خصلاته خشنة ملتوية مقززة، نعم، هكذا، وأنا أستر قدامي، ورانت خفقات قلبي من الخوف شديداً، ماذا؟! رجل لا أعرفه اقتحم الغرفة وأنا أخلع ملابسي وحدي، وها هو قد أمسك بمقبض الباب وهو ينظر إليّ لا يشيح بصره عني، ثم أدار المفتاح في الباب فتصوّت الباب على أنه قد أغلق، وقعت تلك التصويتة في صدري كأنها رصاصة قد اخترقته، علمت ما ينويه ذا، فحاش بذيء، رمى المفتاح فوق الثرية، ثم التقتا عيني بعينه فألمحه يبتسم ابتسامة الخبث والمكر السيّء، وصار يحذوا إليّ ويتقدّم بخطوات بطيئة،

ـ أنت تعجبينني... قالها بنبرة كأنه نمر وأراد أن ينقضّ عليّ...

ـ قلت وأنا أتظاهر بالشجاعة لكن كلا، فخرج صوتي متحشرجاً كأني أبكي: ابتعد، وأنا أرتعش وحالتي أيّة حالة...

وها هو صار ينزع عنه ثوبه!!!

...رِيـــمْزْ...

التقطتّ السكين من السرير ثم مزّقت عباءة هذا الميت، ثم مزقت القميص الأبيض الذي يرتديه تحتها، ثم نفضْتُ على بطنه أسفل سرّته قليلا والبوطي لا يزال منبهر ومذهول، ثم خلعته القميص والعباءة قبله، ثم قبضت قبضتي على السكين بغيظ وزفير وطعنت المدي به، حيث قدرت تماماً، أسفل السّرة فولج نصف المدي أسفل سرّته والنصف اءلاخر لم يطعنه كما قدّرت، شعرت أن لهذا علامة من ربّه، فحشأْت المدي الكبير المسنون كله في أحشاءه حتى تطيّر منه بضع من دمه

والبول علي وجهي... ءاه يا للنشوة، ثم صرت أعصر باليكين أحشاءه حتى غدا طرفه المسنون للأعلى، وأمسيت أبعجه سلخا، وأشقّ سرّته شقّين، وأنا أسلخ بطنه من سرته حتّى صدره، وكل لحظة الدماء تسال والبول يتطاير، وسوائل أخرى تندفع من الشقّ المبعوج، يا للروعة إنها أروع لذّة، القتل والدم والسفك والجرم، وها أنا أستلّ جلده رقعة رقعة، ثم أقرّب وجهي لهذا الجلد بأقل من الشبر مقداراً، فأشهق رائحة الدم والرائحة الغائط، ءاه، ثم رميت السكين، فأمسك بالشقّ الأيمن للجلد بيميني والطرف اءلاخر بشمالي بقبضتين أفرّغ فيهما حنقي وغليلي، ثمّ أفحج بطنه المطعونة المسلوخة نصفين، وها صارت تبّاعد الجلدتين، فتتدلّى من جوفه أحشاءه وكرشه والطحال، ثم مزقت صدره كل ممزق، فإن أبى أغرس السكين حيث أبى، برزت الكبد وكثير من الدماء التي أمست تنهمر منه على الأرض، في قعر هذا الظلام وهذا التغشي من الليل، والجثة تتأرجح يمنة ويسرة، وتتدلّى معها ألأحشاء والكرش وكل شيء قبيح، نزلت من السرير بوثبة خفيفة، أظهر فيها رجولتي، فألمح البوطي يكاد يغمى عليه ويخرّ على الأرض من هول ما رأى...

...مَـــارِيَّة...

!!! يتقدّم بنفس جشعة طماعة، إنه يقترب... لا مكان ءاخر عندي للهروب إليه، لقد حوصرت في زاوية، وها هو يقترب مني شيئاً فشيئاً، أغمضتّ عينيّ وليس عندي إلاّ أن أستسلم...

..صمت...

وأنا مغمضة الأعين، امرأة مكشوفة إلاّ أني أمسكت بجلباب أحتضنه، لست أدري أيسترني أم غير ذالك، ثم صرت أتحسس أنفاثه التي تلفح وجهي، وصرت أشعر بجوعه، يا ويلتى، لا قوة لي فلَمْ أصنع إلاّ أن كمشت نفسي والجلباب في زاوية وأغمضت أجفاني، ماذا عليّ أن

أصنع؟ رجل سوءته لا يواريها بل كله متعرٍّ ثم أمسكني، فضربت كفّه، لكنه انتزع مني الجلباب ورماه خلفه!! ثم لمحته يتفحّصني ويحملق بي، انهرت باكية خاشعة، دعوت في نفسي: يا إله هذا الحرم... بغتة!! التقطني بقوّته من كتفي وبطحني على السرير وصار يقهقه جهاراً، عالياً عارياً، بنبرة انتقام، ثم اعتلاني وهو في قمة سعده وتغشّى عليّ كالليل، قلت في نفسي والأسى مزقني بعد أن استسلمت: ويزعم أنه رجل دين، ثم وقع في الزنا!!!

...

...الشَّيْخ ءادَمْ...

... وأخيراً... ثم لثمتها ... يا للروعة، تقاومني لكن كلاّ، كلاّ فقد ذُبتُ عليها كالقليس، ثم تلوت: فانكحواْ ما طاب لكم من النساء...

...رِيـــمْزْ...

ـ ممتاز، قلت للبوطي، وأومأت له أن ننصرف...

ـ إنه لمنظر مرعب حقاً، قال البوطي...

ـ إنك لم تر بعد شيئاً، أردفت على قوله، ثم قلت له: دعنا نخرج اعلان ونخطط للئــات...

ـ لم أرى أجرأ منك في حياتي...

ـ مه... قلت له، ثم لملمنا بضاعتنا وتركنا تلك الجثة معلّقة بدم منهمر والبول، وكثير من البراز بعدما ثقبت الكرش، وهو يتدلّى بمقلتين مشخصتين، ولسان مزحزح وفم منفرج، كانت جريمة بشعة حقّاً، وصدره المنسلخ شقّين فتخرج من جوفه الأكباد والأحشاء والدم ثم الدم ثم الدم والكرش الذي ثقبته، كنت أودّ كسر الضلوع كذألك وتمزيق الرئة

والتهام القلب، لكن الوقت داهمنا، فخرجت وخرج من بعدي البوطي وتركنا خلفنا مكان كله دم وقتل وفجور وبول وغائط وجثة منتنة...

...نكَِـــاتْ...

دخل هاشم مسرعا... فقلت له: أسرع أسرع إنها الغرفة رقم 1385... بسرعة، بنبرة أن الأمر جلل، رمى لي حقباً به أدوية وإبر ومعدّات طبيّة، ثم وضع حقيبته بجانب الباب، قال وهو يركض ليصل حيث أبلغته يردف 1385، 1385...

...عِمْـــرَان...

وصلت ففتح المصعد وولجت الطابق السادس والستين... وأخطوْ إلى داري بنفس كلها إيمان ورضوان الله، اللهم لك الحمد أذقتني حلاوة الإيمان، أخطوْ، أخطوْ، حتى وصلت ها غرفتي... وابتسامة تعلوني دبر كل خشوع مع المولى عزّ وجلّ...قبضت مقبض الباب،: عجوز، تحدّثني نفسي ممازحة، فأردّ عليها

ـ لكن اليوم أسعد الأيام، اليوم رأيت رسول الله، صاحب مخلص وروح تحبّني لله...

...مَـــارِيَّة...

بغتة!! وأنا بهذا الموقف الحرج، بل الفاجر، تصوت الباب ثم فتح فدخلا ريمز والرجل الضخم الذي معه، فقام هذا الفاحش بعيداً عني يزعم أنه يستحي منهما، وهما ينظران إلينا مستحليان بما رأَيا، فقام وقد دنّسني

بمائه الكريه، وأنا مرهقة والألم والحرقة تعتصرانني، مغلوبة ليس لديّ حولاً، فلم أستطع إلاّ أن ءاخذ شرشفاً وألفّه على نفسي، أما هو فقد قام يسير قدامهما بلا أيّ حياء، بل وشتمهم ثم دخل للخلاء، وأنا محبطة أيّ إحباط، فاليوم كل الفحّاش رأوني... تفتّت قلبي ويئست من هذه العيشة، لا أسطيع، لا أسطيع...

...عِمْـــــرَان...

فتحت الباب!!! ثم رفعت بصري!!! فأرى ما أرى!!! يـــا الله!!!

فصل

{3}

فِتْنةُ خَلْقِ الْقُرْآن

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ...
الحمد لله وحده لا شريك...
والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده...
وبـــعد...
فعل... فــاعل... مفعول بـه...
الســؤال هو...
هل خلق الله القرءان؟
هل قال الله القرءان؟
نعلم وبفضل الله وحده أن القرءان كلام الله وأنـه من عند الله، القضيّة تنقسم إلى قسمين...
القسم الأوّل...
هل القرءان خلقه الله فهو محدث؟ أي كالإنسان فهو لم يكن ثم أوجده الله سبحانه من العدم، أم أن القرءان أزليّ وقديم؟
...
الأقوال والآراء كثيرة، والبلبلة عليه أكثر، وبسبب هاته القضيّة تشيّع المسلمون ومنهم من قوتلواْ عليها حتّى ماتواْ سواء بالتّأْييد أو التعارض... الحديث طويل، لذا سأدع شرح هذا الشقّ من القضية لأنه بسيط، ولنشرح القسم الثاني...
القسم الثانـــي...
كيفية إيجاد الله عزّ وجلّ للقرءان الكريم... هل خلقه كالبشر وغيره من المخلوقات إذ أوجدها من العدم؟ أم هو كلام الله، أي جملة وإعرابها...
ربّ اشرح لي صدري...
ويسّر لي أمري...
واحلل عقدة من لساني...
يفقهواْ قولي...
...

الخلق هو إيجاد شيء من لا شيء، وهذه الطريقة الأولى في النشأة، أما الطريقة الثانية فهي الأمر وهو إيجاد شيء من شيء أي التسخير، وهاتان هما الطريقتان اللتان أنشأ الله بهما كل الكون ومجاريه... بدليل قول الله عزّ وجلّ...

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...

إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستّة أيّـام ثم استوى على العرش يغشي الّيل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمْرهِ ألا لـه الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين...

ضع خطّاً على هذه الآية بالحبر الأحمر وائْتِ لنفهم تفاصيل هاتين الجملتين...

ألاّ لـه <u>الخلق</u> و<u>الأمر</u>...

كمـا قلنا... الله حينما أوجد الأشياء كلّها أوجدها بطريقتين وهما طريقة الخلق وطريقة الأمر، قد تكون كلمة الأمر غير مفهومة في الوهلة الأولى لكن سنفهمها معاً بإذن الله...

سؤال...

ما الفرق بين الخلق والأمر؟

الجواب...

يقول المولى تبارك وتعالى...

وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ أفلا يؤمنون... سورة الأنـــبياء...

حين نبحث عن معنى كلمة جعل في ألسن العرب تعني...

ـ فعل

ـ أنشأ...

أمّـا إذا قلنا أن معناها الخلق فهذا خِطء، بينما خلق تأتي بمعنى جعل، ما يهمّ، انظر إلى الآية كيف تقول: من الماء كلّ شيء حيّ...

سأتحدّث معك كطالب ثانويّة بالقسم العلمي...

: من الماء كل شيء حيّ...

انظر إلى الإنسان وتركيبته الخلقية كيف يحتوي سوائل ماء، وهذا ما يشهد به العلم...
كذلك الحيوان بجميع أنواعه، ثديّات، طيور، قشريات، حفريات، كيف تحتوي على سوائل بما أن فيه خلية ففي الخليّة ماء وسوائل، كذلك الحشرات والزواحف وكلها حيّة لأنها تحتوي على الماء، حتّى الكائنات الدقيقة، كالبكتيريا والفطريات والفيروسات حتى لو لم يكن بالفيروسات بروتوبلازم، لكن بها سيتوبلازم... قد لا تفقه هاته المسمّيات لكن تخيّل معي أي خليّة، سواء الحيوانية أو النباتية، أوليست بها أغشية، وفي النباتية بها غشاء وجدار، إذا كانت الخلية تامة، أي بها الأغشية والجدار عند النباتية، فنسمي سوائل تلك الخلية بروتوبلازم، انزع تلك الأغشية، نسميها سيتوبلازم، إنزع كل مكوناتها، أي جرّد الخليّة من الغشاء والنواة والميتوكونداريا وتلك الأجسام الأخرى وفي النباتية انزع منها كذاك العصارية والجدار وفي الفطريات انزع النوى ومركز التجويف، حيث يبقى لديّ فقط السائل، فنسمّيها السيستوبلازم... ما يهم إذا المنطق يقول كل ما به ماء حيّ وكل حيّ به مــاء...
السماء...
الأرض...
النباتات...
الرمل...
الشمس...
القمر...
الجبــال...
المذنبات...
الهواء...
الحديد...
وحتى الجنة ونار جهنم... انــظر إلى السماء، أصلها من دخان، والدخّان أصله من ماء، وكذاك الأرض تحتوي على ماء...

النباتات على خلايا والخلايا...
الرمل والأتربة بها ذرّات وتركيبها من ماء أيضا...
القمر ففي سطحه مساحات من جليد متجمّد...
... ولاحظ أنّ كلّ شيء ملموس وحسّي سترى أن أصله من الماء، سبحان الله... وابحث...
يقول الله عزّ وجلّ...
ثم استوى إلى السّماء وهي دخانٌ... ﴿ سورة فصّلت﴾
وهو الذي خلق من الماء بشراً...﴿ سورة الفرقان﴾
ألم نخلقكّم من مـاء مهين... ﴿ سورة المرسلات﴾
وكثير من الآيات... اعلم أخي القارئ اعلان هذه الأرض مخلوق حيّ، واعلم أن جهنم كذألك، وأن القمر يحيا ويموت، والجلد أيضاً، كلّ مالا ينطق اعلان ونحسبه جماداً هو مخلوق ولسوف يأخذ حقّه منك إن ظلمته يوم القيامة، بلى، هي اعلان ميتة لحالتين... الأولى لأن ليس بها ماء، والثانية لأن الله خلقها كذا...
اعلمواْ أن الله يحيِي الأرض بعد موتها ﴿ سورة الحديد﴾
دليل على أن الأرض ميّتة وأن الله سوف يحييها، مـتى؟
ومن ءاياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت ﴿ سورة فصّلت﴾
وءاية لهم الأرض الميّتة أحييناها ﴿ سورة يس﴾
يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانواْ يعملـون ﴿ سورة النور﴾
ولأنّ الألسن والجلود تحتوي على مياه فهي حيّة ويوم القيامة سوف تشهد بأعمالنا وتنطق، كذاك الأرض يومئذ تحدّث أخبارها، بلى كلّ الخلائق كلها يوم القيامة سوف يحييها الله وستنطق بأن ربّك أوحى لها... والله أعلم...

الأمر...

الأمر هو الصفات وما لا يحتوي على الماء كـالرحمة، الغضب، العلم، القوّة، الصبر، الكلام، الحِلم، السمع، البصر، السلام، العزّة، الحياة، الغنى، النفع، الحساب، الشكر، القدرة، الجلال، الإنتقام، البقاء، الخبرة، اللطف، وكل هذه الصفات وأكثر لا يمكن أن توجد من غير محسوسات وخلائق مادّية، كما أنها لا تُرى ولا ينكرها أحد...
سؤال؟
يُقـال أنّ المطر مخلوق من مخلوقات الله تعالى وهذه رحمة الله تعالى أي صفة الرحمة لله عزّ شانه، بدليل ﴿ وهو الذي ينزّل الغيث من بعد ما قنطواْ وينشر رحمتهُ﴾ سورة الروم... ؟
الجواب...
ليس المطر صفة من صفات الله تعالى، أو أن الله إذا لم يُنزل الغيث يصير بلا رحمة، كـلاّ وحاش لله، لكن المطر مخلوق وهي قطرات ماء، صفة الرحمة ليست في المطر، بل في سبب نزول المطر، وهذه آية من رحمات الله عزّ وجلّ...
وهكذا فالأمر ليس في المخلوقات والكائنات، إنما في سببها، كـالرّزق، ليست تلك الأموال والدراهم والأزواج والصحة هي ما تجعل الله رزّاقاً كلاّ، فإن افتقرت صار الله غير رزّاق حاش لله، إنما في كيفية جعل الرزق يأتيك... وهكذا... والله أعلم...
وسأختم بقول الله عزّ وجلّ في سورة الواقعة وكيف نستبين فيها أن أولى نشأة هذه المخلوقات هو أمر ولما نشأت أنشأت بالخلق... انظر...
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ...
أفرأيتم ما تمنون... ءاأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ◯ نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ◯
أفرأ يتم ما تحرثون ◯ ءاأنتم تزرعونه أم نحن الزّارعون...
أفرأيتم الماء الذي تشربون ◯ ءاأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون...

أفرأيتم النّـــار التي تورون ◯ ءاأنـــتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشـــئون...

ويظلّ السؤال، هل القرءان خلقُ الله أم قوله عزّ وجلّ وعلى علوّاً كبيراً... السّـــؤال...
هل القرءان يحتوي على ماء؟
...
لا...
هل ذكر أنّ القرءان سيحدّث أو سينطق عمّا فعله الإنسان؟
لا، وإن قلت الشفاعة فهي ليست الشهادة...
إذا الجواب يكون القرءان كلام الله عزّ وجلّ وأثر لصفته تعالى، اعلم أنّ قول مخلوق في القرءان تلحين في اللسان العربيّ، لأن الله لم يذكر ذلك، وقد أسلفنا في التعليل مسبقاً..لكنه...
منزّل، ومحدث، ومجعول، وموْت، ومصرّف، ومفروض، ومفصّل، وذو ذكر، وموحى، وميسّر، وكريم، ومقدّر، ومعلوم، ويقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون... ولو تلاحظ كلّ ما ذكرناه هي صفات أوامر ولا يوجد جبال أو أنهار أو شيء مخلوق بماء عدا بني إسرائيل أهلكهم الله جميعاً وأخرجهم الله من أرض فلسطين مذلولين مقبوحين...

القسم الثّـــــاني...
هل هو محدث أم قديم؟
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...
الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم...
حين نزلت هاته الآية، هل صار الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم حين نزلت هذه الآية على سيّدنا محمد ﷺ أم هو كذألك حتى قبل أن تنزل هذه اءلاية؟

فالأمر أكبر وأعقد، ولا أريد أنا أن يصير كتابي كتاب عقيدة، فقط اعلم عزيزي القارئ، اعلم أن الله عظيم وهو الذي يهديك حين تأتي عليك تلك الأيّام التي تخرج نفسك عن سيطرتك، فلا تملك لنفسك هدىً ولا رشداً وتسعى وتسعى، لكن كلاّ، اعلم أنّ الله أقرب إليك من نفسك، ويا عزيزي القارئ اتل القرءان واقرأه دائماً وأبداً...

وأسأل الله أن ينفعنا بما علّمنـــا، وما وفقني لذالك إلاّ الله، فإن أخطأت أو نسيت فمن نفسي ومن جهلي، وصلّ الله على سيّدنـــا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

فصل

{4}

تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا

...هَـــاشِمْ...

هرعتُ إلى تلك الدار، **1385**، وأيقنت أنها دار ذاك الشيخ الذي لمحته يصعد في المصعد، أركض مهرولاً قائلا في نفسي: لترَوُنّ أيُّها الخبثاء ايُّنا الغالب، وطئت الطابق السادس والستين ولمحت من ها هنالك ذاك الشيخ نفسه، يقف مبهوتاً مصعوقاً!!! أسرِعْ...

...عِمْــرانْ...

يــا إلهي!!! ما ذا؟! ميّت من أمامي مشنوق بسلسلة غليظة معلّق بالسقف، صدره مسلوخ من بين تراقيه حتّى بطنه أسفل سرّته، مشخص بصره، جثّة ما لها حياة، مظهر موحش مخوّف، يحملق فيَّ بنظرة مغضّبة، والدم منتثر حول جسده ومصبوب بالأرض صبّاً، ما ذا؟! يا ويلتى!! أحشاءه وأمعاءه وكل كبده وكرشه معلّقة فيه تتأرجح معه عن اليمين وعن الشمال، الله أكبر!! الحمد لله لأني لم أصرخ، لقد ثبّت الله قدمي...

بغتة!! باغتني أحدهم من ورائي من حيث لم أحتسب ودعَّني من ظهري مما أفزعني، إذ بدوت كالسّكران، كنت في حالة إيمانيات وروحانيات وخشوع لله، حتى تحسّست القرب منه وحالتي أيّ حالة، واءلان أرى ما أرى من قتل وجيفة ودم!! وأنــا في بيت الله الحرام، التفتُّ بعجل لأرى من ذا الذي دفعني فرأيت رجلا لحيماً أسمراً، لباسه كلباس الجند والجيوش، بدلة سوداء وهو ذو متانة وقوّة ترى ذا من بُنية جسده، أغلق الباب بسرعة ثم أخرج من جيبه بطاقة استدللت بها أنه رجل أمن، ثم أردف قائلاً: إني من مخابرات الحرم الشريف، بنبرة هادئة وحسن خلق، إذ تحدّث بلطف وصدق، فاطمأننت، ثم لمح هو هذا الميّت، هذا الشاب الذي لم يبلغ رشده حتّى، ورءاه بنظرة متعجّباً، زمّ شفاه ورفع

حاجبيه وحملق فيه بحيرة، ثم أقعدني على السّرير وإيَّاه، فقال لي مسائلا: لا تخف؟...
ـ بل لا تخف أنت، بنبرة قلت له معاذلا وبمزح، مهً فلقد رأيت من الهول أشد وأعظم، فتبسّم ضاحكا من قولي وقال: هؤلاء هم قوم كافرون، يعملون بشتى السبل لتفرقة المسلمين، ويحرّفون الدين، فيا عمّي إنهم قصدوك أنت بالــذّات، إلاّ لأنك تملك من الأمر الجلل...
قلت في نفسي: ءاوْخبره عن المخطوطة التي عندي؟
ـ فهل لك من أمر الدّين شيء؟...
ـ أجبته بحدّة: وكيف ءامنك على ما عندي؟...
ـ أجابني: الله على ما نقول وكيل، وكفى به شهيداً بيني وبينك...
فقمت من السرير التقطتّ حقيبتي بعدما قرّرت أن أعطيها إيَّـــاه، فتحتها أخرجت منها قماشة كبيرة ملفوفة بعضها على بعض، ورائحة الغرفة المنتنـة تنتشر في الأجواء تحرق أنفاسنا، ثم صرت أفكُّ هذه القماشة وهو ينظر إليّ منتظراً ما هي؟...

...الْبُوطِـــيّ...

استأذنت من ريمز وءادم أن أخرج، ثم خرجت وأغلقت الباب ما إن خرجت، ثم لوهلة شفنتُ دار العجوز الذي قد أدلفت أيّامه، فأرى بابها مغلق ولا حسّ فيها... إنه لأمر غريب، ومضيت حيث اؤمرْ...

...رِيــمْزْ...

بلّغت مناديا أنّ أوان العملية الثانية ءانت، فهيّا يا ءادم اخرج اءلان وامض حيث تؤمر، فقد نِلْتَ ما تريد، ثم انصرف، توجهت إلى مارية وهي تحت الشّرشَف خائفة ويائسة، وقد صرنا لوحدنا اءلان، أخذتُّ

الشّرشف راميا به خلفي بقوة، وقد كُشِفَت هذه الحيوانة أمامي... أمرتها أن تلبس كيْ نبدأ بالعملية، فـــأَبتْ، فقبضتها من شعرها، أنهضتها ودفعتها أن استري نفسك وألقيتها عن شمالي، لقد كانت ميئسة حقّاً، فلم أر فثل هذه اللامبالاة أبداً، وصارت ترتدي ما ترتدي، وأنا صرت أجهّز نفسي ومعدّاتي...

...هَـــاشِمْ...

أودعني الشيخ... كالصحيفة مكوّرة تكويراً، ورقها بال وقديم، ثم أمرني أن أنظر فيها في غير هذا الوقت، لأن رائحة الغائط والبول كانت كريهة وتبثّ الاشمئزاز، لا نقدر على القعود هنا أكثر، فقبضتّ هاتفي وصرت أرنّ إلى نكات...

...نِكَـــاتْ...

فتحت الهاتف، إنه هاشم، وصرت أفضل اعلان بعدما داويت نفسي بحقن من معدات هاشم التي أتى بها، أجبته: نعم هاشم!!

ـ ائْتِ إلى هذي الغرفة وأحضري معك معدات التنظيف...

ـ !! أردفت له قائلة: حاضر، وأيادي الحيرة تضربني بالصفع، ما الذي حصل يا ترى؟... ثم أقفل المكالمة، خرجت إليه وأخذت من مواد التطهير كثيراً...

...عِـــمْرَانْ...

: يا عمي أرجوْ ألاّ تحدّث الناس بما حدث، قال الرجل الجنديّ لي يترجاني من غير أن يفقد كبريائه، فأضحكني قوله، ثم أجبته: أتحسبني نمّاماً فتّاناً أحدّث النـــاس بكل ما أرى أو أسمع، وهذه الطائفة من القوم الذين يحدّثونك بأفعال فلان وإن لقوُ الفلان حدّثوه عنك، هم طائفة أذمّها، إذ ليس لهم في الحياة شأن، فشأنهم حياة اءلاخرين وتصريفها...

ـ يا عمي، قد تندهش من ما ترى ومن هذه الفازعة، فلا تذهلنّ أو تندهش، فهؤلاء هم جماعة ملاحدة يُتفتفون كالجرذان بيننا وهم لا يقدرون على شيء، قد يظنون أنهم يخوّفوننا بذي الأعمال، ولكنهم أخوف من أن تُعْرَف حقيقتهم الزائفة للملأ، إنهم دائماً يعملون بالـسّرّ فالباطل أنصاره خوّانون خوّارون وحتماً لسوف يُهزَمون، واءلان دعنا نخرجك من هنـــا...

ـ هلّا قلت لي المزيد عنهم؟ سألت هذا الجندي...

ـ إنهم قد تظنهم ذو مقام ومنزلة، لكن كلاّ، قد يحكمون العالم عن طريق دولة مّا أو قوانين مّاهي وضعتها، لكن السارق يخشى أن يُفضح وإن كان خبيراً، أنظر إلى صنيعهم، ما تلك الحدود التي وضعتها بين الدول، خاصة في الأراض العربية؟، وانظر إلى الرسالة المزعومة التـــأْشيرة، وكثير من سياسات مشينة وأن تُكتَب في كتيّبات السفر: يجوز السّفر إلى جميع الدول عدا دولة فلسطين المحتلة، وكثير من الدسائس، فلسطين ستتحرّر إن لم يكن اليوم فجر حريّتها فالغد وإن لم يكن الغد فاليوم، اءلان دعنا نخرجك من هنا،!! ثم أتت امرأة ما...

...نكَـــاتْ...

وصلت إليهم لتوّي وما إن وصلت قشعر أنفي من ذي الريح المنتنة، وشهقت بصرخة لما أبصرت هذا الميت وهذه المناظر وكل هذا الرعب!!!

...صمت...

وهم ينظران إليّ على عجب، هاشم والشيخ الذي معه...
لملمت ألبابي وتمالكت أنفاسي، ثم دخلت وأغلقت الباب عند ظهري وأنا أحمل تلك الأكياس، أكياس فيها معطّرات ومطهّرات ومناشف واليد الأخرى أحمل بها الدلاء ومكنستين، ثم أستأذنا هاشم والشيخ البريء، وقال هاشم: سأجـيئ إليك بعد قليل، أومأت له أن لا عليك خذ وقتك، فخرجا ثم صرت إلى الخلا أملؤ الدّلاء ماء كيْ أنظف...

...هَـــاشِمْ...

مالِ هذا الشيخ كلّ همّه ذي الصحيفة، إذ يقول لي يــا بنيّ الله الله في هذه الأمانة، أودعته إلى غرفة في الطابق الأول وأعطيته مفتاحاً، ثم قلت له: ستكمل عمرتك هنا وسأجيئ اليك بأحقابك اءلان، لكنه غير مبال، كل ما يقوله: الله الله في نفسك ءامن الأمانة، وأنا أهدهده أن لا تقلق إنها بمأمن...

...رِيـــمْزْ...

رنّ البوطيّ إليّ ففتحت المكالمة وقلت: ماذا؟
ـ إنها الرابعة... يقصد الغرفة 4...
ثم... ثم أقفلت الخطّ، تبّــاً لقد علمت أنه سيأتي...
تبّاً تبّاً اللعنة، لمَ هكذا؟ ما ذي الحياة الدّنسة؟

...مَـــارِيَّة...

وأرى ريمز يشتم بغضب ومفتعل حتّى تطّاير بقع من لعابه المكفكفة بالأجواء، ويردس الأسرّة بأقدامه ويلعن ويسبّ...
واءلان قد تلفّت إلى سماء الليل التي اسودّت بغمام أيّ اسوداد، ويبدوا أنها ستمطر، لقد شهد قلبي سرّاً أنه لا إله إلاّ الله وأن محمد رسول الله، ودعوت الرّبّ أن يبني لي بيتاً في الجنة وينجّني من ريمز ومن القوم الظالمين...

...هَـــاشِمْ...

ولما خرجت من الغرفة رقم أربعة، توجهت تلقاء اولئك الخبثاء، يكفي سأنهي أمرهم أجمعين، ها هي دارهم أخذت المفتاح الإحتياطيّ الذي أخذته من قبل، ثم فتحت الباب!!!
...صمت...
...عراء...
ولا أحد سوى بقايا وءاثاءهم، وهواء بارد ينفح وجهي، توجّهت لما صنعواْ لقد صنعواْ عند زاوية الحائط الزجاجي منفذاً ليهربواْ منه، أخرجت رأسي من ها هنا والبرد يصفع وجنتيّ وبعض المطر بدأ يهطل مهلا مهلا، لعلي أراهم... بغتة لمحتهم من بعيد قد نزلواْ، كيف؟! نزلت مسرعاً كيْ أمسك بأحدهم مارّاً بالمصعد ثم الممرات والغرف وكذالك حين أتيتهم، لكن كلاّ تلاشواْ كالكذب، أغضبني ذالك حقّـاً، لكن الحمد لله فلم تحصل زعزعة أو افتتان بين القوم المسلمين، ورحم الله كلّ شهيد...
: الحمد لله لعلها، إذا جاء نصر الله والفتح...

...الْبُوطِــــيّ...

بحذر وبلا أيّ حسّ خرجت ألوذ بالفرار...

...عِمْــرَانْ...

قمت نويت أن أصلي قيام الليل عند الكعبة فجوّ كهذا حرّم عليّ أن أبقى ولا أصلّي، ليل وغمام مسودّان وثقيلان، وروح الله والجو البارد وريح العود هنالك عند الكعبة، أنـــا والله فقط، لا أحد أنا والله فقط، لبيك مولاي والله لـئـاتينّـك، وبارك الله في الجنديّ إذ أحضر إليّ أحقابي، بدّلت ملابسي، ثم خرجت وضميري بعث حياة جديدة وقلبي أشرق بعمر طاهر سعيد، من بعد اليوم لا معاصي ولا ذنوب، لا، من بعد اليوم لا شهوات ولا منكرات، من بعد اليوم لا عشق إلاّ لله وحده لا شريك لـه، من بعد اليوم لا طمع ولا حسد ولا أحد يأخذ بالي أو تفكيري سوى الله، اليوم صم بكم عمي لا أرى ولا أسمع ولا أفقه إلا الله، من بعد اليوم نويت الله واءلاخرة...

لمْ يبق عندي مـــا يبتزّه الألمُ...
...حسبي من الموحشات الهمّ والهرمُ
لمْ يبق عندي كفاءات الحادثات أسىً...
... ولا كـفاءات جراحات تضجّ دمُ
وحين نطغى على الحرّان جمرتُهُ...
...فالــصمت أفضل ما يطوى عليه فمُ

...

رفعت كفّي حين أتممت وضوءي تلقاء الكعبة أدعواْ أقول: الله نور السموات والأرض، اللهم لك الحمد الحمد على كلّ شيء، يـــا رحمن يا رحيم، يا سميع يا عليم، أنت أنت، أنت ولا أحد سواك، تركتُ الدّنيا وكل ما فيها وأقبلت بوجهي إليك، فيا من هو سمعي وبصري وأفئدتي، اغفر لي وارحمني وتب عليّ واهدني صراطك المستقيم، واجعل الجنة داري والرسول جاري، واحشرني مع الصدّيقين والشّهداء والصالحين، اللهم أحبّك...

...الله الله...

وتحت هذه النجوم والكواكب التي زيّنت وتحت غمام كثّ وندى وروح وريحان وتجلّ لله سبحانه والغيث الذي صار ينهمر ويهطل بماء منهمر والكعبة من قدّامي وسماء مكة وأثر النبيّ ﷺ وخشوع لله وذكرى... ثم سجدتّ لله وماء المطر الممزج بأرنبتي الممرغدة ببلاط الحرم الشريف، وسالت قطرة مطر من أنفي حتى وقعت على الأرض وأنا ساجد، ومع وقوعها أرعد في السماء رعداً عظيماً، كأن الله تجلّى لي، ثم قلت من كلّ قلبي: اللهم إني اشتقت إليك كثيراً، وغيث ربي ورائحة عود الكعبة ومياه زمزم مزجاة بي، رفعت من السجود وأنا مبلل بالكامل، قعدتّ ثّم!! أخذت شهيقاً طويلاً حتى امتلأ كل صدري وأتبعته بزفرة فيها من خلاص الحياة ما فيها، بلى، بل الرّفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى...

... في صلاة الفجر...

...يوم الأثنين...

إنّــا لله وإنا إليه راجعون، بعد صلاة الفجر نصلّي على عبد الله المعتمر إن شاء الله، عمران البدوي، وأقم الصلاة...

...تمّت وبتوفيق الله...